

العاصفة

كامل كيلاني



العاصفة

تأليف
كامل كيلاني



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦/١/٢٠١٧

يورك هاوس، شيبث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إن مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

رسم الغلاف: ورود الصاوي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٢١٧ ٤

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٣.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُنْصَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

| | |
|----|--------------|
| ٧ | شكسپير |
| ١١ | فاتحة القصة |
| ١٧ | الفصل الأول |
| ٢٣ | الفصل الثاني |
| ٢٩ | الفصل الثالث |
| ٣٥ | الفصل الرابع |
| ٣٩ | الفصل الخامس |
| ٤٥ | خاتمة القصة |

شكسبير

(١) نشأته

ولد مؤلف هذه القصص الرائعة، الشاعر العظيم «وليم شكسبير» في بلدة «ستراتفورد»؛ وهي مدينة صغيرة في «إنجلترا». وكانت ولادته في شهر أبريل عام ١٥٦٤م. وكان أبوه «جون شكسبير» قصاباً (جزاراً)، وهو إلى ذلك يتجر في الأصواف في تلك المدينة. ولم تكن أمه السيدة «ماري أردن» متعلمة. وكان «شكسبير» أكبر إخوته. وقد اشتهر أبوه بالكرم وطيبة القلب. وتفشّى الوباء، وكثر الطاعون وانتشر في شهر يوليو عام ١٥٦٤م، أي في السنة التي ولد فيها «شكسبير»؛ فلم يقصّر أبوه في معاونة البائسين والمعوزين، فاستنفد ذلك ماله وأفنى مال زوجته، وأغرقها الدَّين، فعجزا عن الوفاء بما عليهما للدائنين. ولم يستطع «شكسبير» أن يتم دروسه التي كان يتلقاها في إحدى المدارس الريفية، بعد أن عجز أبواه عن الإنفاق عليه بسبب فقرهما؛ فلم يمكث في مدرسته إلا زمناً قصيراً.

(٢) في دُكَانِ أَبِيهِ

ولم يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى اضطرَّ إلى احتراف مهنة أبيه، بعد أن سُدَّتْ في وجهه كل أبواب الرزق. ومما يحكونه عنه: أنه كان إذا ذبح عجلًا أو شاة (نعجة)، تألم لذلك أشد الألم، ووقف يخطب رفاقه — في بلاغة مؤثرة — ويظهر أمامهم ما يشعر به من الألم العميق كلما هَمَّ بذبح حيوان.

ولقد قضى «شكسبير» حياته الأولى في هَمٍّ وِضْنِك، وِغَمٍّ وِضِيق، وتزوج وهو في الثامنة عشرة من عمره، وورث ثلاثة أطفال: ولدًا وبنتين. ولم يكن سعيدًا في زواجه؛ فقد ألحَّ عليه الفقر والبؤس حتى ساءت حاله واضطرب أمره.

(٣) هربه إلى «لندن»

ولم يبلغ العشرين حتى أوقعه فقره في مأزق حرج وِضِيق شديد. فقد خرج ذات يوم مع بعض رفاقه، وظلوا يصطادون الغزلان والأرانب — على عاداتهم — حتى ضيبتهم السيد «توماس لوسي» وهم يصطادون في مزرعته في «شريكونت» ورافعهم (شكاهم) إلى القضاء؛ ففضى عليهم بالسجن، وفرض عليهم غرامة فادحًا (عقوبة مالية كبيرة)، فاضطر «شكسبير» إلى الهرب. ولم يصل إلى مدينة «لندن» حتى نظم بعض الأشعار في هَجُوش السيد «توماس لوسي».

(٤) في مسرح «لندن»

وظل «شكسبير» يبحث في مدينة لندن عن عمل يقات منه، فلم يجد أمامه غير المسرح، وهو بطبعه ميال إليه؛ فالتحق به، وتحققت فيه كل أمانيه. وكان أول عمل عهدوا به إليه أن يحرس جِياد النَّظَّارة (الخيال التي يملكها جمهور الناظرين من شهود التمثيل)، ثم ارتقى فصار مُلقنًا، ثم ممثلًا ثم مؤلفًا صغيرًا، ثم نابغة فذًا (مفردًا) منقطع النظير (لا مثيل له).

ولم يكن في مدينة «لندن» حينئذٍ إلا مسرح واحد مبني بالخشب، وليس له سقف. فلما جاء عام ١٥٩١م، ظهرت أولى رواياته، وهي قصة «رُوميو وِجُولِيَّت»، فنجحت نجاحًا باهرًا، وأعجب بها جمهور النَّظَّارة إعجابًا شديدًا، وكانت سنُّه حينئذٍ سبعة وعشرين عامًا.

(٥) في ذروة المجد

ثم توالى نجاحه وذاع فضله، حتى دعته ملكة إنجلترا «إليصابات» ليمثل أمامها روايته التي ألفها عن أبيها «هنري الرابع». وقد كان لتشجيعها أكبر أثر في نفسه، فتغنى بفضلها في شعر رائع.

ولم يبلغ السابعة والأربعين حتى أتم ستاً وثلاثين رواية تمثيلية، بعضها درامة وبعضها كوميديا، وكان يؤلف في كل عام روايتين تقريبا. وهكذا ابتسم له الحظ، وصفت له الأيام، ونمت ثروته؛ فأنقذ أباه من الفقر ووفى دينه وأسعد أسرته.

وما زال يرتقي ويكبر شأنه ويذيع فضله، حتى أصبح من أفذاذ شعراء العالم وعظماء الفكر الإنساني، فترجمت رواياته الرائعة (التي تروّعك وتعجبك بحسنها) إلى أكثر اللغات.

وسترى أيها القارئ الصغير في هذه الروايات ما يبّهجك من أسمى ألوان الخيال العالي التي جاد بها هذا الشاعر العظيم، وبدائع الصور البيانية التي ابتدعتها طبيعة نفسه الفتية الشاعرة.

فاتحة القصة

(١) تمهيد

لَعَلَّكَ تَعْرِفُ — أَيُّهَا الْقَارِئُ الصَّغِيرُ — اسْمَ ذَلِكَ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ الَّذِي يَفْصِلُ الْقَارَةَ الْإِفْرِيقِيَّةَ عَنِ الْقَارَةِ الْأُورُوبِيَّةِ. وَلَعَلَّكَ قَدْ وَقَفْتَ — ذَاتَ يَوْمٍ — عَلَى شَاطِئِ هَذَا الْبَحْرِ الْعَظِيمِ، وَرَأَيْتَ مَاءَهُ الْأَزْرَقَ! فَإِذَا كُنْتَ لَمْ تَرَ هَذَا الْبَحْرَ فِي حَيَاتِكَ — مَرَّةً وَاحِدَةً — فَمَا أَحْسَبُكَ تَجْهَلُ اسْمَهُ؛ فَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِهِ كُتُبُ الْجُغْرَافِيَّةِ.

لَعَلَّكَ تَذَكَّرُ الْآنَ اسْمَ هَذَا الْبَحْرِ الْوَاسِعِ الْعَمِيقِ، هُوَ «الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ الْمَتَوَسِّطُ». وَلَعَلَّكَ تَعْرِفُ — إِلَى هَذَا — أَنَّ فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ كَثِيرًا مِنَ الْجَزَائِرِ!
عَلَى أَنَّ الْجَزَائِرَ الْكَثِيرَةَ لَا تَعْنِينَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ.
إِنَّمَا تَعْنِينَا جَزِيرَةٌ وَاحِدَةٌ كَانَتْ بَيْنَ إِيطَالِيَا وَتُونِسَ.
فَلَأُحَدِّثُكَ بِمَا وَقَعَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ.

(٢) «بُرْسِبِيرُو» و«مِيرِنْدَا»

لَمْ تَكُنِ الْجَزِيرَةُ مُقْفَرَةً (خَالِيَةً مِنَ النَّاسِ). وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَمَا حَدَّثَتْ فِيهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ الْجَمِيلَةَ الَّتِي أُرِيدُ أَنْ أَقْصِهَا عَلَيْكَ.
كَانَ يَعْيشُ فِي الْجَزِيرَةِ شَيْخٌ طَيِّبُ الْقَلْبِ، صَافِي النَّفْسِ، اسْمُهُ: «بُرْسِبِيرُو»، وَمَعَهُ فَتَاةٌ وَدَيْعَةٌ هَادِئَةٌ، كَرِيمَةُ النَّفْسِ، اسْمُهَا «مِيرِنْدَا». وَقَدْ عَاشَتْ مَعَ أَبِيهَا «بُرْسِبِيرُو» فِي



تلك الجزيرة مَدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، وَكَانَتْ قَدْ وَفَدَتْ (قَدِمَتْ) مَعَهُ إِلَيْهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ صَغِيرَةٌ؛ فَلَمْ تَذْكُرْ أَنَّهَا رَأَتْ وَجْهَ إِنْسَانٍ آخَرَ غَيْرِ أَبِيهَا.

وَكَانَتْ «مِيرِنْدَا» هَذِهِ لَطِيفَةً، جَمِيلَةَ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ (حَسَنَاءَ الصُّورَةِ، كَرِيمَةَ الْفَعَالِ). أَمَّا شَعْرُهَا فَمُرْسَلٌ عَلَى كِتْفَيْهَا (مُسَبَّلٌ غَيْرُ مَضْفُورٍ)، وَأَمَّا صَوْتُهَا فَمُنْسَجِمٌ مُوسِيقِيٌّ، لَا تَرْفَعُهُ نُورَةُ الْيَأْسِ وَالْغَضَبِ.

وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ أَنَّ «مِيرِنْدَا» قَدْ جَمَعَتْ — إِلَى جَمَالِ الْوَجْهِ — رَجَاحَةَ الْعَقْلِ؛ فَأَحَبَّهَا أَبُوهَا حُبًّا شَدِيدًا، وَأَصْبَحَتْ سَلْوَتُهُ وَعَزَاءُهُ وَسَعَادَتُهُ فِي الْحَيَاةِ. وَقَدْ مَرَّتْ بِهِمَا الْأَيَّامُ هَنِيبَةً رَغِيدَةً، وَصَفَا عَيْشُهُمَا، وَطَابَ لَهُمَا الْمَقَامُ.

(٣) بَيْتٌ «بُرْسِيَرُو»

وَكَانَ «بُرْسِيَرُو» قَدْ اتَّخَذَ لَهُ بَيْتًا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ فِي أَحَدِ الْكُهُوفِ، وَقَسَمَهُ ثَلَاثَ غُرَفٍ: أُولَاهَا لـ«مِيرِنْدَا»، وَالثَّانِيَةُ لِلْمَائِدَةِ حَيْثُ يَأْكُلُ مَعَ ابْنَتِهِ، وَالثَّلَاثَةُ لِمَكْتَبَتِهِ حَيْثُ يَقْضِي جُزْءًا مِنْ وَقْتِهِ فِي مُطَالَعَةِ كُتُبِ السَّحْرِ وَدَرَسِ فُنُونِهِ.

وَقَدْ كَانَ يَحْرِصُ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ أَشَدَّ الْحَرِصِ، وَيُعَلِّقُ عَلَيْهَا أَكْبَرَ الْأَمَالِ.
وَلَمْ يَكُنْ «بُرْسَبِيرُو» يَعْرِفُ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ قَبْلَ مَجِيئِهِ إِلَيْهَا، وَلَمْ يَخْتَرْهَا سَكَنًا لَهُ.
وَلَمْ يَدُرْ بِخَلْدِهِ (لَمْ يَمُرَّ بِخَاطِرِهِ) — مِنْ قَبْلُ أَنَّ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ الْمَجْهُولَةَ سَتَكُونُ وَطَنَهُ
وَوَطْنَ ابْنَتِهِ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ. فَقَدْ جَاءَ الْجَزِيرَةَ كَمَا اتَّفَقَ (مُصَادِفَةً)، وَاضْطَرَّتْهُ الْمَقَادِيرُ (مَا
يَقْدَرُهُ اللهُ مِنَ الْحَوَادِثِ) إِلَى الْبَقَاءِ فِيهَا حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ لَهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى وَطَنِهِ.

(٤) السَّاحِرَةُ «سَكُورَكْس»

وَلَمَّا حَلَّ «بُرْسَبِيرُو» بِالْجَزِيرَةِ عَرَفَ كَثِيرًا مِنَ الْأَسْرَارِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي هَدَتْهُ إِلَيْهَا فَنُونُ
سِحْرِهِ. وَلَمْ يَكُنْ لَيْسْتَطِيعَ أَنْ يَتَعَرَّفَ هَذِهِ الْأَسْرَارَ لَوْلَا خَبْرَتُهُ الْوَاسِعَةُ بِأَسَالِبِ السِّحْرِ
وَفُنُونِهِ.



فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ سَاحِرَةً خَبِيثَةً اسْمُهَا «سَكُورَكْس» كَانَتْ تَسْكُنُ الْجَزِيرَةَ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَنَّهَا
اسْتَطَاعَتْ — بِمَا أُوتِيَتْ مِنْ قُوَّةِ السِّحْرِ وَسُلْطَانِهِ — أَنْ تَمَلَأَ الْجَزِيرَةَ بِطَائِفَةٍ مِنْ أَشْرَارِ
الْجِنِّ.

وَلَمْ تَسْأَلْ أَنْ تَتْرَكَ أَحْيَارَهُمْ أَحْرَارًا، وَأَبَى عَلَيْهَا حُبْنُهَا وَلَوْمُهَا إِلَّا أَنْ تَسْجُنَهُمْ فِي جُدُوعِ الْأَشْجَارِ.

فَلَمَّا مَاتَتْ تِلْكَ السَّاحِرَةُ الْخَبِيثَةُ، اسْتَطَاعَ «بُرْسِبِيرُو» — بِمَا أُوتِيَ مِنْ سُلْطَانِ السُّحْرِ — أَنْ يُطْلِقَ سَرَاحَ هَوْلَاءِ الْجِنِّ الْأَخْيَارِ الَّذِينَ أَسْرَتَهُمُ السَّاحِرَةُ، وَأَنْ يَتَّخِذَ مِنْهُمْ أَعْوَانًا وَخَدَمًا يُؤَدُّونَ لَهُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ.

(٥) «آزِيلُ»

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَوْلَاءِ الْجِنِّ الْأَخْيَارِ الَّذِينَ أَطْلَقَ «بُرْسِبِيرُو» سَرَاحَهُمْ — بَعْدَ مَوْتِ السَّاحِرَةِ الْخَبِيثَةِ — جِنِّي كَرِيمِ النَّفْسِ، قَوِيُّ الْبَأْسِ (عَظِيمُ الشَّجَاعَةِ، شَدِيدُ الْبَطْشِ وَالْفَتَنِ)، اسْمُهُ «آزِيلُ». وَكَانَ جَمِيعُ سُكَّانِ الْجَزِيرَةِ مِنَ الْجِنِّ يَخْضَعُونَ لَهُ، وَيَدِينُونَ (يُدْعُونَ) بِالرَّعَامَةِ لِقُوَّتِهِ.

وَقَدْ أَخْلَصَ ذَلِكَ الْجِنِّي الْكَرِيمُ لِسَيِّدِهِ «بُرْسِبِيرُو» الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ سِجْنِهِ، وَأَصْبَحَ لَهُ خَادِمًا أَمِينًا لَا يَعْصِي لَهُ أَمْرًا، وَلَا يَتَرَدَّدُ فِي تَلْبِيَةِ كُلِّ مَا يَطْلُبُهُ.

وَكَانَ «آزِيلُ» يَبْدُو (يَطْهَرُ) لِسَيِّدِهِ فِي تَوْبِ شَفَافٍ، فِي مِثْلِ لَوْنِ الضَّبَابِ، وَفِي وَسْطِهِ جِزَامٌ سَمَاوِيٌّ اللَّوْنِ. وَكَانَ لَهُ جَنَاحَانِ شَفَافَانِ يَشُعُّ النُّورَ مِنْ خِلَالِهِمَا، وَتَدُلُّ سِيمَاهُ وَهَيْئَتُهُ عَلَى إِخْلَاصِهِ وَدَكَائِهِ، وَكَرَمِ نَفْسِهِ.

(٦) «كَلِيْبَانُ»

وَكَانَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ الْجِنِّيِّ الطَّرِيفِ الْوَفِيِّ شَيْطَانٌ آخَرَ اسْمُهُ: «كَلِيْبَانُ»، وَهُوَ ابْنُ السَّاحِرَةِ الْخَبِيثَةِ «سَكُورُكْسَ» الَّتِي حَدَّثْتِكَ عَنْهَا مِنْ قَبْلُ.

وَكَانَ «كَلِيْبَانُ» دَمِيمَ الصُّورَةِ، قَبِيحَ الْوَجْهِ، سَيِّئَ الْخُلُقِ، خَبِيثَ النَّفْسِ؛ كَمَا كَانَ أَشْعَثَ (مُتَفَرِّقَ الشَّعْرِ)، كَرِيهَ الْمَنْظَرِ. وَقَدْ نَبَتَ الشَّعْرُ الْكَثِيفُ عَلَى زِرَاعِيهِ وَسَاقِيهِ فَعَطَّاهَا، وَجَعَلَهُ أَقْرَبَ إِلَى الْحَيَوَانِ مِنْهُ إِلَى الْإِنْسَانِ.

وَلَمْ يَكُنْ — مُنْذُ نَشَأَتِهِ — قَادِرًا عَلَى النَّطْقِ، كَمَا تَنْطِقُ أَيُّهَا الْقَارِيءُ الْعَزِيزُ. بَلْ كَانَ لَهُ صَوْتُ مُرْعَجٍ أَشْبَهُ بِعَوَاءِ الذُّبِّ أَوْ نَبْحِ الْكَلْبِ، مِنْهُ بِصَوْتِ الْإِدْمِيِّ.

فَهُوَ - فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ - يَصْرُخُ وَيَهْدِرُ (يُرَدُّ صَوْتُهُ فِي حَنْجَرَتِهِ كَمَا يَفْعَلُ الْجَمَلُ)، وَيَعْوِي فِي صَحَبٍ (صَجِيحٍ) مُفْرَعٍ، وَتَسْتَوِي عَلَيْهِ بَوَاعِثُ الْغَضَبِ لِأَنَّه الْأَشْيَاءُ؛ فَتَجَلَّى الشَّرَاسَةُ (سُوءُ الْخُلُقِ وَكَثْرَةُ الْعِنَادِ) وَالْقَسْوَةُ وَالْعُنْفُ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ مِنْ حَرَكَاتِهِ.

(٧) بَيْنَ «أَرَيْلَ» وَ«كَلِيْبَانَ»

وَكَانَ هَذَا الشَّيْطَانُ الْخَبِيثُ أَسْوَأَ رَفِيقٍ لـ «بُرْسَبِرُو». وَلَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِنَا «بُرْسَبِرُو» بُدًّا وَلَا خَلَاصًا مِنْ مُصَاحَبَتِهِ. وَكَانَ «بُرْسَبِرُو» وَالِدُ «مِرْنَدَا» - عَلَى مَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ جَمَالِ الْخُلُقِ، وَصَفَاءِ النَّفْسِ - مُضْطَرًّا إِلَى مُعَامَلَةِ «كَلِيْبَانَ» بِقَسْوَةٍ وَفِظَاطَةٍ، وَغِلْظَةٍ وَخَشُونَةٍ. فَأَصْبَحَ يُسَخِّرُهُ وَيَسْتَحْدِمُهُ فِي قَطْعِ الْأَخْشَابِ وَحَمْلِهَا إِلَى دَارِهِ، كَمَا يُسَخِّرُهُ فِي آدَاءِ كُلِّ عَمَلٍ شَاقٍّ؛ حَتَّى لَا يَدَعَ لِذَلِكَ الشَّرِيرِ الْخَبِيثِ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِ الْفَرَاغِ يَصْرِفُهُ فِي الشَّرِّ وَالضَّرْرِ.

وَكَانَ كُلَّمَا عَمَدَ إِلَى الْكَسَلِ، أَوْ تَهَاوَنَ فِي آدَاءِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْفُرُوضِ وَالْوَاجِبَاتِ، هَدَّدَهُ «أَرَيْلَ» بِالْعِقَابِ، وَصَرَفَهُ إِلَى وَاجِبِهِ، وَأَنْذَرَهُ فِي قَسْوَةٍ وَعُنْفٍ بِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَخَفْ إِلَى آدَاءِ وَاجِبِهِ - فِي إِخْلَاصٍ وَنَشَاطٍ - سَحَقَهُ، أَوْ نَكَلَ بِهِ شَرًّا تَنْكِيلٍ وَأَذَاهُ شَرًّا أَدِيَّةً، أَوْ أَلْقَى بِهِ فِي أَقْدَرٍ مُسْتَنْقَعٍ.

وَكَانَ «أَرَيْلَ» قَادِرًا عَلَى التَّحَوُّلِ فِي أَيِّ شَكْلِ شَاءَ: فَتَارَةً تَرَاهُ فِي شَكْلِ وَحْشٍ، وَثَانِيَةً فِي شَكْلِ قَرْدٍ، وَثَالِثَةً فِي شَكْلِ قُنْفُذٍ، وَعَبْرَ تِلْكَ مِنَ الْأَشْكَالِ الْمُفْرَعَةِ الَّتِي تَمَلَأُ نَفْسَ «كَلِيْبَانَ» رُعبًا، وَتَضْطَرُّهُ إِلَى تَلْبِيَةِ أَمْرِهِ، وَالْخُضُوعِ لِإِشَارَتِهِ.

وَلَيْسَ فِي وَسْعِ «كَلِيْبَانَ» أَنْ يَنْتَقِمَ لِنَفْسِهِ مِنْ «أَرَيْلَ» إِلَّا بِالسَّبَابِ وَالسَّتْمِ وَتَعْبِيسِ الْوَجْهِ وَتَقْطِيبِهِ. وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لِيَضِيرَ «أَرَيْلَ» أَوْ يُخِيفَهُ مِنْهُ؛ فَإِنَّ السَّتْمَ وَالسَّبَابَ أَضْعَفُ حِيلَةٍ يَلْجَأُ إِلَيْهَا الْعَاجِزُ الضَّعِيفُ، وَهُمَا دَلِيلَانِ عَلَى سُوءِ الْأَدَبِ وَخُبْثِ النَّفْسِ. وَمَا أَحْسَبُكَ - أَيُّهَا الصَّغِيرُ الْعَزِيزُ - تَرْضَى عَنْ خُلُقِ «كَلِيْبَانَ» أَوْ تَرْضَى عَمَّنْ يُقْلَدُهُ فِيهِ.

(٨) مَزَايا «أَرْيِلُ»

أَمَّا «أَرْيِلُ» فَهُوَ — عَلَى الْعَكْسِ مِنْ صَاحِبِهِ — دَائِمٌ الْإِبْتِسَامِ، شَدِيدُ النَّشَاطِ، كَثِيرُ الْحَرَكَةِ. وَهُوَ — كَمَا قُلْنَا — قَادِرٌ عَلَى التَّحَوُّلِ إِلَى أَيِّ صُورَةٍ أَرَادَ، وَفَقَ مَا يَحْلُو لَهُ. فَتَارَةً تَلْفِيهِ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى فَنَاءَةٍ جَمِيلَةٍ تَحْمِلُ فِي يَدِهَا طَاقَةً مِنَ الزَّنْبُقِ، وَتَارَةً تَرَاهُ فِي صُورَةٍ عُصْفُورٍ، وَكَانَ — إِلَى ذَلِكَ — مُغَنِّيًّا حَسَنَ الصَّوْتِ، رَائِعَ الْغِنَاءِ؛ فَأَصْبَحَ أَنْسَ رِفَاقِهِ الْجِنِّ. وَقَدْ كَانُوا يُحِبُّونَهُ أَشَدَّ الْحُبِّ، وَكَثِيرًا مَا غَنَّاهُمْ أَطْيَبَ الْأَغَانِي وَأَعَذَبَ الْأَنَاشِيدِ.

وَكَانَ — إِلَى ذَلِكَ — يُهَيِّمُنُ عَلَى الرِّيَّاحِ، وَيَسَيِّطُرُ عَلَى أَمْوَاجِ الْبَحْرِ. فَإِذَا شَاءَ أَحَدَثَ عَاصِفَةً هُوَجَاءَ (زُوبَعَةً تَهْبُ فِي نَوَاحٍ مُخْتَلِفَةٍ)، وَأَثَارَ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، وَأَغْرَقَ السُّفْنَ وَرَاكِبِيهَا، وَإِذَا شَاءَ سَكَنَ الْعَاصِفَةَ، وَجَعَلَ أَمْوَاجَ الْبَحْرِ هَادِئَةً، فَسَارَتِ السُّفُنُ فِي سَلَامٍ وَطُمَأْنِينَةٍ.

الفصل الأول

(١) هُبُوبُ الْعَاصِفَةِ

أَثَارَ «بُرْسِيَرُو» — نَاتَ يَوْمٍ — عَاصِفَةٌ هَوَّجَاءَ فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ الْعَظِيمِ. وَلَمْ يَدْرِ أَحَدٌ — حِينَئِذٍ — لِأَيِّ سَبَبٍ خَفِيَ أَثَارَ «بُرْسِيَرُو» هَذِهِ الْعَاصِفَةِ؟ وَقَدْ كَانَ مِنَ الْمُسْتَطَاعِ أَنْ يَرَى الْإِنْسَانُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ — إِذَا وَقَفَ عَلَى شَاطِئِ الْجَزِيرَةِ — ارْتِفَاعَ الْأَمْوَاجِ وَأَصْطِخَابَهَا (تَحَبُّطُهَا وَشِدَّةَ اخْتِلَاطِ أَصْوَاتِهَا)، وَيَشْهَدَ اضْطِرَابَ الْبَحْرِ وَهِيَاجَهُ، حَتَّى لَيُحَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّ أَمْوَاجَ الْبَحْرِ تَرِيدُ أَنْ تَرْتَفِعَ لِتَبْلُغَ أَعْنَانَ السَّمَاءِ (نَوَاحِيهَا)، فَتَشْتَبِكَ مَعَهَا فِي حَرْبٍ طَاحِنَةٍ. وَقَدْ ارْبَدَّ لَوْنُ السَّمَاءِ وَأَعْبَرَّ، وَأَصْبَحَ كَالرَّصَاصِ، وَاسْتَحَالَ ضَوْءُ النَّهَارِ إِلَى ظَلَامٍ حَالِكٍ.

وَلَا حَتَّ — مِنْ بَعِيدٍ — سَفِينَةٌ مُلْتَهَبَةٌ تُرْقِصُهَا الْأَمْوَاجُ، وَتَلْعَبُ بِهَا وَتَتَقَادَفُهَا كَالْكُرَّةِ.

(٢) حُزْنُ «مِيرِنْدَا»

وَلَمْ تَرَ «مِيرِنْدَا» هَذَا الْمَنْظَرَ الْمُفْرَعَّ حَتَّى صَاحَتْ مَدْعُورَةً — وَقَدْ مَلَأَ الْخَوْفُ قَلْبَهَا — وَقَالَتْ لِأَبِيهَا: «انظُرْ — يَا أَبَتِ — إِلَى هَذِهِ السَّفِينَةِ الْحَائِرَةِ، وَاسْتَمِعْ إِلَى صَرَخَاتِ مَنْ فِيهَا وَاسْتِغَاثَاتِهِمْ الْمُتَصَاعِدَةِ فِي الْفُضَاءِ، وَقَدْ أَشْرَفُوا عَلَى الْعَرَقِ! إِنَّ قَلْبِي لَيَكَادُ يَنْفِطِرُ (يَنْشَقُّ)، حُزْنًا عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ النَّاسِ. وَمَا أَحْسَبُ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ إِلَّا هَالِكِينَ الْآنَ! تَرَى — يَا أَبَتِ — مَنْ الَّذِي أَثَارَ الْعَاصِفَةَ الْهُوجَاءَ؟ وَأَيُّ قَسْوَةٍ دَفَعَتْهُ إِلَى إِثَارَتِهَا؟ أَلَا تَرَحَّمُ —

يا أباي — هؤلاء المساكين وتنفذهم من الهلاك؟ ألا تأمر العاصفة بالسكون، فتتخذ حياة المعدبين؟»

فأجابها «برسبيرو» في حنان وعطف: «هوني عليك — يا بنيتي — وتقي أن العاصفة ستنتهي بسلام، ولن يصاب أحد ممن في السفينة بأقل ضرر».

فقالت «ميرندا» وقد فاضت عيناها بالدموع: «أه! يا له من يوم مشؤم مفرع!»

(٣) حوان عجيب

فقال «برسبيرو» لابنته «ميرندا»: «سكني — يا عزيزتي — من روعك، وهدئي من فزعك، ولا تخشي شيئا؛ فإنني لم أثر العاصفة إلا حبا فيك، وتوخيا لمصلحتك (تحريا لنفوعك)، وإن كنت لا تزالين تجهلين الأسباب التي تحفزني (تدفعني) إلى هذا العمل، وتحكمين علي بالقسوة من غير أن تعلمي حقيقة ما أريدا! ألم تسألني نفسك يا بنيتي — في بعض الأحيان — عن أبيك؟ من هو؟ كيف كان؟ ولماذا نفى إلى هذه الجزيرة النائية (القصية البعيدة)؟»

فقالت له «ميرندا»: «كلا — يا أبت — لم أفكر في شيء من هذا قط».

فقال لها: «إذن فقد حان الوقت الذي أكشفك فيه بالحقيقة. فأصغي إلي ما أقصه عليك لتتعرفي حقيقة أمرنا جميعا. على أنني أحب أن أطمئنتك — قبل كل شيء — على مصير السفينة وراكبيها، فأقرر لك أن العاصفة — التي أزعجتك وملأت قلبك فرعا وخوفا وهلعا — ستنتهي بسلام. فقد أثرتنا بفنون السحر وبعثتها، ولكنني أخذت على نفسي عهدا وثيقا ألا أغرق أحدا من ركب السفينة. ونويت أن أنقذهم جميعا بعد أن أدبهم من ضروب الأهوال ما لا يمر لهم على بال. فلا يهولك ما تريته، ولا يفزعك ما تبصريته (لا يخوفك ما تنظرينه). وكوني على ثقة يا بنيتي العزيزة أن هذه السفينة التي تريتها — وقد أوشكت أن تتحطم الآن — لن يغرق أحد ممن فيها. ولن يمر عليهم زمن يسير حتى تريحهم قد حرجوا جميعا إلى البر سالمين؛ فإنني لم أرد بأحد منهم شرا!»

(٤) ذِكْرِيَاتٌ مُّخْرَنَةٌ

وَحِينَئِذٍ تَوَقَّفَ «بُرْسَبِيرُو» عَنِ الْكَلَامِ قَلِيلًا، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ (عَادَ إِلَى الْكَلَامِ) قَائِلًا: «أَلَا تَسْتَطِيعِينَ — يَا «مِيرِنْدَا» — أَنْ تَعُوْدِي بِذَاكَرَتِكَ إِلَى أَيَّامِ طُفُولَتِكَ الْأُولَى، لَعَلَّكَ تَذَكَّرِينَ وَقْتًا قَضَيْتِهِ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْمَغَارَةِ؟ مَا أَحْسَبُكَ تَذَكَّرِينَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ كُنْتَ فِي الثَّلَاثَةِ مِنْ عُمْرِكَ».

فَجَمَعَتْ «مِيرِنْدَا» كُلَّ فِكْرِهَا، ثُمَّ قَالَتْ لِأَبِيهَا: «نَعَمْ، بَدَأْتُ أَدُكُرُ — يَا أَبَتِ — شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ السَّعِيدِ. وَإِنِّي لَأَدُكُرُهُ كَمَا أَدُكُرُ حُلْمًا، وَأَحْسَبُنِي كُنْتُ أَرَى حَمَسَ نِسَاءٍ يَخْدُمُنِي!»

فَقَالَ لَهَا «بُرْسَبِيرُو»: «لَقَدْ مَضَى — يَا بِنَيَّتِي — عَلَى ذَلِكَ الْعَهْدِ اثْنَا عَشَرَ عَامًا، وَكَانَ أَبُوكَ — حِينَئِذٍ — أَمِيرَ «مِيلَانَ» وَحَاكِمَهَا».

فَقَالَتْ لَهُ «مِيرِنْدَا» وَقَدْ عَرَاها (أَصَابَهَا وَالْمَّ بِهَا) شَيْءٌ مِنَ الدُّهُولِ وَالِإِضْطِرَابِ: «لَسْتُ أَفْهَمُ مَا تَعْنِيهِ يَا أَبِي بِهَذَا الْقَوْلِ؛ فَأَفْصِحْ لِي عَمَّا تُرِيدُ، وَخَبِّرْنِي إِذَنْ: كَيْفَ حَالَتْ — بَعْدَ ذَلِكَ — حَالُنَا (كَيْفَ تَحَوَّلَتْ وَتَغَيَّرَتْ)؟ وَكَيْفَ أَقْصَوْتُ عَنْ إِمَارَةِ «مِيلَانَ»؟ وَلِمَاذَا أَبْعَدُوكَ وَجَرَّدُوكَ مِنْ حُكْمِهَا؟»

(٥) قِصَّةُ «بُرْسَبِيرُو»

— أَلَا تَذَكَّرِينَ — يَا بِنَيَّتِي — أَيَّنَ كُنَّا قَبْلَ أَنْ نَجِيءَ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ؟

— كَلَّا. لَا أَدُكُرُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، يَا أَبَتِ؟

— كُنْتُ — مُنْذُ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا — أَمِيرَ مِيلَانَ، وَكُنْتُ أَنْتِ وَارِثَتِي الْوَحِيدَةَ.

— فَمَاذَا حَدَثَ، يَا أَبَتِ؟ وَكَيْفَ انْتَقَلْنَا إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ؟

— لَقَدْ نَفِينَا مِنْ بِلَادِنَا نَفِيًّا، وَقَدْ أَوْشَكَتْ (قَرَبَتْ) دَسَائِسُ الْأَعْدَاءِ أَنْ تَقُودَنَا إِلَى الْهَلَاكِ. وَلَكِنَّ عِنَايَةَ اللَّهِ — وَحْدَهُ — قَدْ أَنْقَذَتْنَا مِنْ كَيْدِهِمْ، وَأَوْصَلَتْنَا إِلَى الْجَزِيرَةِ سَالِمِينَ.

— أَيُّ كَيْدٍ، وَأَيُّ دَسَائِسٍ، يَا أَبِي؟ إِنَّ الْحُزْنَ لِيَمَلَأُ نَفْسِي لِهَوْلِ مَا أَسْمَعُ!

— كَيْدٌ أَخِي «أَنْطُنْيُو» وَدَسَائِسُهُ.

نَعَمْ، كَيْدٌ «أَنْطُنْيُو» عَمَّكَ الْغَادِرِ. فَقَدْ فَوَّضْتُ إِلَيْهِ إِمَارَتِي، وَتَرَكْتُ لَهُ إِدَارَةَ الْحُكُومَةِ،

وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى دَرَسِ فُنُونِ السَّحْرِ. وَكَانَ عَمُّكَ ... آه ... أَمْنَتِيهَا أَنْتِ إِلَى مَا أَقُولُ؟

- كَلِّ الْإِنْتِبَاهِ يَا أَبِي.
- كَانَ عَمُّكَ طَامِعًا فِي الْإِنْفِرَادِ بِالْمُلْكِ: فَبَدَلَ جُهْدَهُ عَامِلًا عَلَى إِقْصَائِي عَنْ بِلَادِي، لِيَخْلُو لَهُ الْجَوُّ ... أَمْضِغِيَةَ أَنْتِ إِلَيَّ؟
- نَعَمْ، فَإِنَّ كَلَامَكَ – يَا أَبِي – يَشْفِي الْأَصَمَّ مِنْ صَمَمِهِ (يُعِيدُ حَاسَةً السَّمْعَ إِلَى مَنْ فَقَدَهَا).
- وَكَانَ أَخِي هَذَا غَادِرًا خَتُونًا كَالثُّعْبَانِ. وَقَدْ صَفَوْتُ لَهُ، وَوَثِقْتُ كُلَّ التُّقَّةِ بِهِ، وَمَنْحَتُهُ كُلَّ حُبِّي؛ فَكَانَ جَزَائِي عَلَى ذَلِكَ أَنْ غَدَرَ بِي، وَنَسِيَ مَا عَمَرْتُهُ بِهِ مِنْ عَطْفٍ وَحُبٍّ. فَتَحَالَفَ هُوَ وَمَلِكُ «نَابُولِي» وَاتَّفَقَا جَمِيعًا عَلَى نَفْيِي مِنَ الْمَدِينَةِ. وَأَسْتَوْلَى أَخِي عَلَى السُّلْطَانِ، وَأَمَرَ بِوَضْعِنَا – أَنَا وَأَنْتِ – فِي زَوْرَقٍ، حَتَّى أَصْبَحْنَا فِي عُرْضِ الْبَحْرِ. فَنَقَلُونَا إِلَى سَفِينَةٍ طَالَ عَلَيْهَا الْقَدَمُ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا شِرَاعٌ وَلَا حِبَالٌ.
- فَكَيْفَ وَصَلْنَا إِلَى الْجَزِيرَةِ إِذَنْ؟
- سَاقَتْنَا إِلَيْهَا عِنَايَةُ اللَّهِ وَكَانَ مَعَنَا قَلِيلٌ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَاءِ الْعَذْبِ، وَضَعُهُ فِي سَفِينَتِنَا أَحَدَ أَشْرَافِ «نَابُولِي» وَاسْمُهُ «جُنْزَالُو». وَقَدْ اخْتَارَوْهُ – لِحُسْنِ حِظَّنَا – رَئِيسًا لِإِنْفَازِ مَوَاطِرَتِهِمْ. فَوَضَعَ فِي سَفِينَتِنَا كُتَيْبِي، وَهِيَ أَنْفُسُ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَهِيَ عِنْدِي خَيْرٌ مِنْ مُلْكِي الَّذِي فَقَدْتُهُ. وَوَضَعَ – إِلَى ذَلِكَ – كَثِيرًا مِنَ الثِّيَابِ وَالْحُلَلِ الثَّمِينَةِ. وَقَدْ لَطَفَ بِنَا اللَّهُ، وَقَيَّضَ لَنَا رِيحًا رُخَاءً (أَتَاحَ وَيَسَّرَ لَنَا رِيحًا هَيِّنَةً رَفِيقَةً)، حَتَّى بَلَّغْنَا الْجَزِيرَةَ سَالِمِينَ.
- شَدُّ مَا كَابَدْتَ (قَاسَيْتَ مِنَ الْعَنَاءِ) بِسَبَبِي يَا أَبَتِ!
- لَقَدْ كُنْتُ لِي – عَلَى الْعَكْسِ مِمَّا تَظُنِّينَ – مَلَكًا (رُوحًا سَمَويًا) كَرِيمًا يَا بَنِيَّتِي. وَكُنْتُ لِي خَيْرٌ مُشْجَعٍ فِي الْحَيَاةِ. وَكُنْتُ أَكْبَرَ أَمَلٍ أَتَغَلَّبُ بِهِ عَلَى مَا أَلْقَاهُ مِنَ الْمَصَاعِبِ. وَلَوْلَاكَ لَكَانَتْ حَيَاتِي مُجْدَبَةً (مُقْفِرَةً غَيْرَ مُثْمِرَةً)، لَا سَلْوَى فِيهَا وَلَا أَمَلٍ
- وَلَكِنْ حَبْرَنِي – يَا أَبِي – أَيُّ صِلَةٍ بَيْنَ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَبَيْنَ الْعَاصِفَةِ الَّتِي أَنْزَلْتَهَا عَلَى هَوْلَاءِ الْمَسَاكِينِ؟
- إِنَّ الْمُصَادِفَاتِ الْعَجِيبَةَ هِيَ الَّتِي سَاقَتْ أَعْدَاءَنَا الَّذِينَ تَأَمَّرُوا عَلَى اغْتِصَابِ الْمُلْكِ مِنِّي، وَأَوْصَلَتْهُمْ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ.

وَقَدِ انْتَهَزْتُ الْفُرْصَةَ لِأَضْطَرَّهُمْ إِلَى النَّزُولِ بِجَزِيرَتِنَا صَاغِرِينَ (أَذْلَاءَ خَاضِعِينَ)؛
فَأَثَرْتُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْعَاصِفَةَ الْهُوجَاءَ (الْمُنْبِعَثَةَ هُنَا وَهُنَاكَ) لِيُعْرَجُوا عَلَيْنَا (يَمِيلُوا إِلَيْنَا).
وَمَتَى تَمَّ لَنَا ذَلِكَ، سَهَّلَ عَلَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ الْخُطَّةَ الَّتِي تُمَكِّنُنَا مِنْ اسْتِعَادَةِ الْمُلْكِ.

(٦) نَوْمٌ «مِيرِنْدَا»

فَنَظَرْتُ «مِيرِنْدَا» إِلَى أَبِيهَا مَدْهُوشَةً. وَعَجِبْتُ مِمَّا قَصَّهَ عَلَيْهَا أَشَدَّ الْعَجَبِ. وَلَمْ تَعْرِفْ مَا
تَقُولُ، وَلَا كَيْفَ تُجِيبُهُ.
فَنَظَرَ إِلَيْهَا مُحَدِّقًا (مُوجِّهًا نَظْرَهُ بِشِدَّةٍ) وَقَالَ لَهَا: «لَا شَكَّ — يَا بُنَيَّتِي — أَنَّ هَذِهِ
الْقِصَّةَ قَدْ حَزَنَتْكَ، وَنَهَكْتَ قُؤَاكِ وَأَضْعَفَتْكَ. فَنَامِي.»
وَمَا أَتَمَّ كَلَامَهُ حَتَّى خَضَعَتْ «مِيرِنْدَا» لِتَأْثِيرِ نَظْرَاتِهِ السَّحْرِيَّةِ؛ فَأَغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا،
وَاسْتَسَلَمَتْ لِنَوْمٍ عَمِيقٍ.

الفصل الثاني

(١) بين «بُرسِبرُو» و«أزِيل»

وَلَمْ تَسْتَسْلِمَ «مِيرِنْدَا» لِلنُّومِ، حَتَّى نَادَى «بُرسِبرُو» خَادِمَهُ الْجِنِّيَّ الْمُخْلِصَ الْأَمِينَ «أزِيل»، وَقَالَ مُتَلَطِّفًا: «هَلُمَّ إِلَيَّ — يَا عَزِيزِي «أزِيل» — وَنَفِّذْ مَا أَمْرُكَ بِهِ فِي الْحَالِ، بِلَا تَوَانٍ (بِغَيْرِ بُطْءٍ وَلَا تَرَاخٍ). هَلُمَّ أَيُّهَا الرَّفِيقُ الْكَرِيمُ».

فَتَقَدَّمَ «أزِيل» — فِي نَشَاطٍ وَخُضُوعٍ — وَقَالَ لِسَيِّدِهِ مُتَادِّبًا: «تَحِيَّتِي إِلَيْكَ يَا مَوْلَايَ الْكَرِيمِ، يَا ذَا الْمَجْدِ وَالرَّفْعَةِ وَالسُّلْطَانِ. هَآنَذَا — يَا سَيِّدِي — أَلْبِيكَ وَأَجِيبُكَ مُطِيعًا خَاضِعًا. فَمُرْنِي: أَطِرُ فِي الْجَوِّ، أَوْ أَسْبِحُ فِي قَاعِ الْبَحْرِ، أَوْ أَعُدُّ فِي فِجَاجِ الْأَرْضِ (أَجْرٌ فِي نَوَاحِي الدُّنْيَا). مُرْنِي أَجْلِسُ عَلَى مُتُونِ الْغَمَامِ، وَظُهُورِ السَّحَابِ. مُرْنِي بِمَا تَشَاءُ — يَا مَوْلَايَ — تَجِدْنِي أَطْوَعَ إِلَيْكَ مِنْ بَنَانِكَ (أَطْرَافِ أَصَابِعِكَ)».

فَقَالَ لَهُ «بُرسِبرُو»: «هَلْ أَنْفَذْتَ كُلَّ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ — فِي دِقَّةٍ وَإِخْلَاصٍ — أَيُّهَا الْجِنِّيُّ الْعَزِيزُ؟»

فَقَالَ لَهُ «أزِيل»: «نَعَمْ، يَا مَوْلَايَ، فَقَدْ أَتْرَثْتُهَا عَاصِفَةً هَوِجَاءَ مُرُوعَةٍ (مُخَوِّفَةً مُفْرَعَةً)، مَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ دُغْرًا وَخَوْفًا وَهَلَعًا؛ فَكَانُوا — حَيْثُمَا أَدَارُوا لِحَاضَتِهِمْ (طَافُوا بِعِيُونِهِمْ) — رَأَوْا هَلَكَاءَ يَتَهَدَّدُهُمْ، وَمَوْتًا يَوَعَدُهُمْ، وَلَهَبًا يَكْتَنِفُهُمْ، وَنَارًا تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ! فَاسْتَوَلَى عَلَيْهِمُ الْيَأْسُ، وَتَمَلَّكَهُمُ الْفَرَعُ وَالرُّعْبُ مِنْ هَوْلٍ مَا رَأَوْا».

فَقَالَ لَهُ «بُرسِبرُو»: «وَهَلْ اسْتَطَاعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَثْبُتَ لِلْهُوْلِ، وَيَحْتَفِظَ بَرَزَانَتِهِ وَعَقْلَهُ فِي تِلْكَ الْغَاشِيَةِ (الْمُصِيبَةِ النَّارِلَةِ)؟»

فَقَالَ لَهُ «أَرَيْلُ»: «كَلَّا يَا سَيِّدِي، فَقَدْ عَرَّتْهُمْ الْحُمَى (أَصَابَتْهُمْ)، وَتَمَلَّكَهُمُ الْخَوْفُ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِمُ الْيَأْسُ وَالذُّهُولُ جَمِيعًا؛ فَالْقُوا بِأَنْفُسِهِمْ فِي الْيَمِّ (الْبَحْرِ)، مُؤَثِّرِينَ (مُقْضِلِينَ) الْأَمْوَاجَ الْهَائِجَةَ الْمُزْبِدَةَ (الْقَازِفَةَ بِالرَّيْدِ) عَلَى ذَلِكَ الْجَحِيمِ الْمُسْتَعْرِ (الْمُلْتَهَبِ)، وَلَمْ يَبْقَ فِي السَّفِينَةِ إِلَّا الْمَلْحُونَ (النُّوتِيُّونَ) وَحَدَهُمْ! وَكَانَ «فَرْدِنَنْدُ» ابْنُ الْمَلِكِ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي الْأَمْوَاجِ النَّائِرَةِ الْهَائِجَةِ، وَقَدْ قَفَّ (قَامَ) شَعْرُ رَأْسِهِ — مِنْ شِدَّةِ الذُّعْرِ — فَأَصْبَحَ كَأَعْوَادِ الْغَابِ، وَصَرَخَ — وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الْخَوْفُ وَالرُّعْبُ — «يَا لَلَّهِ لَقَدْ انْتَقَلَتِ الْجَحِيمُ كُلُّهَا إِلَى هَذِهِ الْبُقْعَةِ وَفَتَحَتْ أَبْوَابَهَا لَنَا!»

(٢) «أَرَيْلُ» يَلْتَمِسُ الْحُرِّيَّةَ

فَقَالَ لَهُ «بُرْسِبِيرُو»: «مَا أَصْدَقَ مَا قَالَ! فَخَبِّرْنِي — أَيُّهَا الْجِنِّي الْعَزِيزُ — هَلْ أَنْقَذْتَهُمْ جَمِيعًا مِنَ الْغَرَقِ؟»

فَقَالَ لَهُ «أَرَيْلُ»: «نَعَمْ يَا سَيِّدِي، فَقَدْ سَلِمُوا جَمِيعًا، وَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَهَكَذَا أَنْقَذْتُ إِشَارَتَكَ — فِي دِقَّةٍ وَأَمَانَةٍ — وَفَرَّقْتُهُمْ شَيْعًا (طَوَائِفَ) فِي أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ، وَأَقْصَيْتُ «فَرْدِنَنْدُ» ابْنَ الْمَلِكِ عَنْ أَصْحَابِهِ، وَجَعَلْتُهُ فِي عَزْلَةٍ تَامَّةٍ (انْفِرَادٍ وَوَحْدَةٍ)».

فَقَالَ لَهُ «بُرْسِبِيرُو»: «شَدَّ مَا أَحْسَنْتَ يَا «أَرَيْلُ»، فَقَدْ أَدَيْتَ مَا طَلَبْتُهُ إِلَيْكَ خَيْرَ أَدَاءٍ، وَلَكِنَّ أَمْرَهُمْ لَنْ يَبْقَى عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ».

فَقَالَ لَهُ «أَرَيْلُ»: «أَيَسْمَحُ السَّيِّدُ أَنْ أَرْفَعَ إِلَيْهِ مُلْتَمَسًا؟»

فَقَالَ لَهُ «بُرْسِبِيرُو»: «اطْلُبْ مَا شِئْتَ، أَيُّهَا الْجِنِّي الْمُرْتَدِّدُ الْمَوْسُوسُ».

فَقَالَ لَهُ «أَرَيْلُ»: «الْتَمَسُ يَا سَيِّدِي أَنْ تَمْنَحَنِي حُرِّيَّتِي بَعْدَ هَذَا».

فَقَالَ «بُرْسِبِيرُو»: «أَنَاةً أَيُّهَا الْجِنِّي (مَهْلًا وَصَبْرًا)؛ فَإِنَّ الْوَقْتَ لَمْ يَحِنْ بَعْدُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلٌ وَمِيقَاتٌ (مَوْعِدٌ وَوَقْتُ)».

(٣) «بُرْسِبِيرُو» يُهْدِدُ «أَرَيْلُ»

فَأَجَابَهُ «أَرَيْلُ»: «أَيُرِيدُ السَّيِّدُ مِنِّي أَنْ أَفْعَلَ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلْتُ؟»

فَقَالَ لَهُ «بُرْسَبِيرُو»: «أَتَمُّنُّ عَلَيَّ أَنْ أَتَيْتَ أَمْرًا هَيِّنًا (سَهْلًا) لَمْ يُكَبِّدَكَ أَيَّ عَنَاءٍ؟ لَعَلَّكَ نَسِيتَ «سَكُورَكْس» السَّاحِرَةَ الْخَبِيثَةَ الْفَطَّةَ (الْحَشِينَةَ الطَّبْعَ)، وَمَا كَانَتْ تُلْحِقُهُ بِكَ مِنْ نَكَالٍ (عُقُوبَةٍ وَعَذَابٍ) وَتَبْرِيحٍ (أَذَى شَدِيدٍ)! تَرَى هَلْ نَسِيتَ الصَّرَخَاتِ الْمُؤَلِّمَةِ الَّتِي كُنْتُ تُرْسِلُهَا فِي الْفُضَاءِ — مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ — كَعُوَاءِ الذُّنَابِ، فَتَرْجِفُ (تَرْتَعِدُ) الدَّبَبُ وَالْوَحُوشُ مِنْ هَوْلِهَا، وَأَنْتِ سَجِينٌ مَقْهُورٌ فِي جِدْعِ شَجَرَةِ الصَّنَوْبِرِ؟»

فَأَجَابَهُ «أَزِيلُ» فِي صِرَاعَةِ النَّادِمِ، وَتَذَلُّلِ الْأَسْفِ: «رَحْمَةً بِي، وَتَجَاوُزَ عَنْ هَذِهِ السَّيِّئَةِ الَّتِي اقْتَرَفْتُهَا (ارْتَكَبْتُهَا)!»

فَقَالَ لَهُ «بُرْسَبِيرُو» ضَاحِكًا: «يَا لَكَ مِنْ مُنْكَرٍ لِلْجَمِيلِ! عَلَيَّ أَنَّكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ بَعْدَ هَذَا: شَقَقْتُ شَجَرَةَ بَلُوطٍ وَجَعَلْتُهَا سَجْنَكَ إِلَى الْأَبَدِ. فَاذْهَبِ الْآنَ وَأَنْجِزْ (أَتِمِّمْ وَنَفِّذْ) مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، فَإِنِّي — إِذَا فَعَلْتَ — مُعْتَقُّكَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ. هَاأَنْذَا أَمْرَكَ، فَأَحْضِرْ لِي «فَرْدِينُدًا»، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَرَى عَنْ كَتَبٍ (أَشْهَدُ عَنْ قُرْبٍ) ابْنَ الرَّجُلِ الَّذِي صَبَّحَ الْمَلِكَ مَنِيًّا.»

فَقَالَ لَهُ «أَزِيلُ»: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَكَ!»
ثُمَّ قَفَزَ — فِي خَفَّةٍ وَنَشَاطٍ — وَاسْتَحْفَى عَنْ عَيْنَيْهِ لِيُحْضِرَ لَهُ مَا طَلَبَ.

(٤) يَقْظَةُ «مِيرِنْدَا»

وَتَمَّةٌ أَنْحَنَى «بُرْسَبِيرُو» عَلَى ابْنَتِهِ وَهِيَ نَائِمَةٌ، وَقَالَ لَهَا: «اسْتَيْقِظِي يَا بُنَيَّتِي الْعَزِيزَةَ، وَهَبِي (قُومِي وَأَنْهَضِي) مِنْ رُقَادِكَ. هَلُمَّ إِلَيَّ لِتَنْظُرِي مَا فَعَلَ «كَلِيْبَانُ».»

فَقَالَتْ لَهُ «مِيرِنْدَا» وَهِيَ تَرْفَعُ جَفْنَيْهَا: «كَلًّا يَا أَبَتِ، لَا أَحِبُّ أَنْ أَرَى أَمَامِي هَذَا الشَّيْطَانَ.»

فَقَالَ لَهَا: «الْحَقُّ مَعَكَ يَا عَزِيزَتِي، فَإِنَّهُ فَطُّ بَغِيضٍ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ. عَلَيَّ أَنْ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَعْنِيَ عَنْهُ. فَهُوَ الَّذِي يَجِيئُنَا بِالْحَسْبِ، وَيَحْتَنِبُ (يُحْضِرُ الْحَطَبَ) لَنَا — كُلَّ يَوْمٍ — وَيُوفِدُ النَّارَ.»

(٥) بَيْنَ «بُرْسَبِيرُو» وَ«كَلِيْبَانِ»

نَمَّ صَاحٌ: «هَلُمَّ إِلَيَّ يَا «كَلِيْبَانِ». إِلَيَّ آيَّتُهَا السُّلْحَفَاةُ الْخَبِيْثَةُ. أَلَا تَلَبِّي نِدَائِي؟»
 فَسَكَتَ «كَلِيْبَانُ» لَحْظَةً، ثُمَّ قَالَ لِسَيِّدِهِ «بُرْسَبِيرُو» غَاضِبًا: «أَنْسَيْتَ أَنَّ هَذِهِ الْجَزِيْرَةَ
 الَّتِي تَعِيْشُ فِيهَا هِيَ مَلِكٌ لِي وَوَحْدِي، وَأَنْنِي قَدْ وَرِثْتُهَا عَنْ أُمِّي «سَكُورَكْسُ»؟ ثُمَّ سَلَبْتَنِيهَا
 وَاعْتَصَبْتَهَا مِنِّي بِقُوَّتِكَ، وَظَلَمْتَ وَجَبْرُوْتِكَ؟ عَلَيَّ أَنْكَ لَمْ تَحَلَّ بِهَذِهِ الْجَزِيْرَةَ حَتَّى عَلَّمْتَنِي
 كَيْفَ أَنْطِقُ وَأَصِفُ مَا حَوْلِي مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَقَدْ أَحْبَبْتُكَ — حِينَئِذٍ — وَمَحَضْتُكَ الْوُدَّ،
 وَأَخْلَصْتُكَ الْحُبَّ، فَأَرَيْتُكَ كُلَّ مَا فِي الْجَزِيْرَةَ مِنَ الْيَنَابِيْعِ الْعَذْبَةِ وَالْأَبَارِ الْمِلْحَةِ، وَالْمُرُوجِ
 (الْأَرْضِ الْمَمْلُوءَةِ بِالنَّبَاتِ) وَالْهَضَابِ. فَعَلَيْ اللِّعْنَةُ إِذْ أَرَشَدْتُكَ إِلَى كُلِّ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ. نَعَمْ،
 وَلَنْسَقُطَ عَلَيْكَ لَعْنَاتُ «سَكُورَكْسُ» يَا جِنْسَ الْخَفَافِيْشِ، وَنَسَلِ الضَّفَادِعِ وَسَلِيْلِ الثَّعَابِيْنِ!»
 ثُمَّ وَقَفَ «كَلِيْبَانُ» عَنِ الْكَلَامِ لَحْظَةً وَاسْتَأْنَفَ يَقُولُ: «لَقَدْ كُنْتُ — وَوَحْدِي — مَلِكَ
 الْجَزِيْرَةَ، فَلَمَّا حَلَلْتُمَا سَلَبْتَنِي حُرِّيَّتِي، وَمَلَكْتَ رَقِي، وَصَيَّرْتَنِي عَبْدًا وَاعْتَصَبْتَ مِنِّي مُلْكِي،
 وَلَمْ تَدْعُ لِي مِنَ الْجَزِيْرَةَ إِلَّا مَكَانًا ضَيِّقًا فِي هَذِهِ الصَّخْرَةِ الْمُقْفَرَةِ (الْخَالِيَةِ). فَيَا لَكَ مِنْ
 جَاحِدٍ مُنْكَرٍ لِلْجَمِيْلِ! أَلَا فَلَنْسَقُطَ عَلَيْكَ لَعْنَاتُ أُمِّي «سَكُورَكْسُ»، وَلْتَنْغُصْ عَلَيْكَ حَيَاتَكَ
 الضَّفَادِعُ وَالْخَفَافِيْشُ!»

(٦) «بُرْسَبِيرُو» يَنْوَعِدُ «كَلِيْبَانِ»

وَلَمْ يُطِقْ «بُرْسَبِيرُو» أَنْ يَدَعَ «كَلِيْبَانِ» مَاضِيًّا فِي سَبَابِهِ (مُسْتَمِرًّا فِي شَتْمِهِ)، مُتَمَادِيًّا فِي
 وَقَاحَتِهِ، فَقَاطَعَهُ قَائِلًا: «صَهْ (اسْكُتْ) أَيُّهَا الْأَثِيْمُ، فَلَيْسَ يَجْدُرُ بِكَ إِلَّا السَّوْطُ، أَمَّا الْجَمِيْلُ
 فَلَا يَتْرُكُ فِي نَفْسِكَ إِلَّا أَسْوَأَ الْأَثَارِ. أَنْسَيْتَ مَا أَسْلَفْتُهُ (قَدَّمْتُهُ إِلَيْكَ) مِنْ إِحْسَانٍ، وَمَا غَمَزْتُكَ
 بِهِ مِنْ عَطْفٍ وَحَنَانٍ؟ كَيْفَ ارْتَضَيْتَ أَنْ تَقَابَلَ مَعْرُوفِي بِالْإِسَاءَةِ وَجَمِيْلِي بِالْكَفْرَانِ؟ هَيْه
 أَيُّهَا الْجَاحِدُ، لَقَدْ لَقَيْتُكَ — أَوَّلَ أَمْرِكَ — حَيَوَانًا أَبْكُمْ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا
 الصُّرَاحَ وَالْعَوَاءَ، فَعَلَّمْتَكَ كَيْفَ تَنْطِقُ وَكَيْفَ تُبَيِّنُ عَنْ أَعْرَاضِكَ.»

فَأَجَابَهُ «كَلِيْبَانُ» حَانِقًا غَاضِبًا ثَائِرًا: «لَقَدْ عَلَّمْتَنِي اللُّغَةَ، فَشَكَرَّا لَكَ إِذْ عَلَّمْتَنِي كَيْفَ
 أَلْعَنُكَ، وَأَدْعُو عَلَيْكَ أَنْ يُهْلِكَ الطَّاعُونَ جَزَاءَ مَا عَلَّمْتَنِي!»

الفصل الثاني

فَقَالَ لَهُ «بُرْسَبِيرُو»: «صَه. اخْرَسْ أَيُّهَا السَّاقِطُ الْمُرْوَّة، وَحَذَارِ أَنْ تَتَمَادَى فِي سَفَاهَتِكَ وَشَتْمِكَ، وَهَذِرِكَ وَمُزَاجِكَ وَهَدْيَانِكَ. اذْهَبْ مِنْ هُنَا — يَا ابْنَ «سَكُورَكْس» — فَأَحْضِرْ لَنَا وَقُودًا. أَسْرِعْ بِتَلْبِيَةِ أَمْرِي، وَلَا تَتَوَانَ فِي ذَلِكَ وَلَا تُبْطِئْ، وَإِلَّا مَلَأْتُ عِظَامَكَ بِالْأَوْجَاعِ وَالْأَلَامِ الْمُبْرَحَةِ (الشَّيْئَةِ الْأَدَى وَالْأَلَمِ) جَزَاءَ عِصْيَانِكَ وَلُؤْمِ نَحِيزَتِكَ (حُبْثِ طَبِيعَتِكَ)، وَفَسَادِ ضَمِيرِكَ وَطَوَيْتِكَ».

فَمَلَأَ الْخَوْفُ نَفْسَ «كَلِيْبَانَ» الْغَادِرِ، وَتَمَلَّكَهُ الدُّعْرُ، وَقَدْ خَشِيَ أَنْ يُنْفَذَ فِيهِ وَعِيدُهُ، فَقَالَ لَهُ ضَارِعًا (خَاضِعًا): «كَلَّا، لَا تَفْعَلْ، وَتَجَاوَزْ بِفَضْلِكَ عَن خَطِيئَتِي وَدُنْبِي، وَسَتْرَانِي مُدْعِنًا لِأَمْرِكَ، مُطِيعًا، مُلَبِّيًا كُلَّ مَا تَطْلُبُهُ مِنِّي».

ثُمَّ أَسْرَعَ «كَلِيْبَانُ» لِيُنْجِزَ (لِيَتِمَّ) مَا أَمَرَهُ بِهِ سَيِّدُهُ «بُرْسَبِيرُو» وَهُوَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ: «يَا لَهُ مِنْ مُتَسَلِّطٍ جَبَّارٍ. فَمَتَى أَخْلُصُ مِنْ إِسَارِي، وَأَنْجُو مِنْ حَبْسِي، فَأَسْتَرِيحُ مِنْ وَعِيدِهِ؟ لَا بُدَّ لِي مِنْ تَلْبِيَةِ أَمْرِهِ. وَالْوَيْلُ لِي إِذَا هَمَمْتُ بِعِصْيَانِهِ!»

الفصل الثالث

(١) حيلة «آريل»

ذَهَبَ «آرَيْلُ» لِيُحْضِرَ «فِرْدِنَنْدُ» كَمَا أَمَرَهُ «بُرْسَبِيرُو». وَكَانَ «آرَيْلُ» — كَمَا قُلْنَا — ذَكِيًّا لَبِقًا (حَسَنَ التَّصَرُّفِ)؛ فَسَلَكَ طَرِيقَةً عَجِيبَةً جِدًّا لَا تَخْطُرُ عَلَى بَالٍ. فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى «فِرْدِنَنْدُ»، وَأَخْفَى نَفْسَهُ عَنْ عَيْنَيْهِ، وَظَلَّ يُرَدِّدُ أُغْنِيَةَ جَدِيدَةً يَنْعَى بِهَا أَبَا «فِرْدِنَنْدُ» وَيُعْلِنُ وَفَاتَهُ، لِيُنَيْسَهُ مِنْ لِقَاءِ أَبِيهِ.

وَكَانَ «فِرْدِنَنْدُ» — حِينئِذٍ — مَحْزُونًا عَلَى أَبِيهِ، لَا يَعْرِفُ: هَلْ كُتِبَتْ لَهُ السَّلَامَةُ، أَمْ كَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ؟ وَلَمْ يَسْمَعْ أُغْنِيَةَ «آرَيْلُ» حَتَّى ارْهَفَ أُذُنَيْهِ، وَتَسَمَّعَ بِانْتِبَاهٍ وَأَنْصَتَ كُلَّ الْإِنْصَاتِ.

وَكَانَ «آرَيْلُ» يُعْنِي وَهُوَ سَائِرٌ فِي طَرِيقِهِ إِلَى «بُرْسَبِيرُو». وَكَانَ «فِرْدِنَنْدُ» يَسِيرُ فِي طَرِيقِهِ — عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ — مُتَتَبِعًا الصَّوْتِ السَّاحِرِ الَّذِي يَنْعَى لَهُ أَبَاهُ، وَيُخْبِرُهُ بِمَوْتِهِ، فِي شَعْرِ مُؤَثِّرٍ مُحْزِنٍ.

(٢) نشيد «آريل»

وَقَدْ عَجَبَ «فِرْدِنَنْدُ» مِمَّا سَمِعَ، وَظَلَّ يَتَتَبَعُ — فِي انْتِبَاهٍ شَدِيدٍ — صَوْتَ الْجَنِيِّ، وَهُوَ يُعْنِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ. وَقَدْ بَدَأَ «آرَيْلُ» أُغْنِيَتَهُ بِقَوْلِهِ:

أَبُوكَ يَا «فِرْدِنَنْدُ» قَدْ مَاتَ، وَهُوَ غَرِيقٌ

طَوَاهُ بَحْرٌ خِصْمٌ نَائِي الشُّطُوطِ عَمِيقُ
وَالْبَحْرُ — مُنْذُ قَدِيمٍ — إِلَى الْهَلَاكِ طَرِيقُ

فَجَزَعَ «فَرْدِينْدُ» عَلَى أَبِيهِ وَعَجِبَ مِنْ غِنَاءِ الْهَاتِفِ (الَّذِي يُسْمَعُ صَوْتُهُ وَلَا يَرَى شَخْصَهُ)، وَسَارَ يَتَّبِعُ الصَّوْتِ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ:

أَبُوكَ يَا «فَرْدِينْدُ» قَدْ مَاتَ، وَهُوَ غَرِيقُ
وَنَامَ نَوْمًا عَمِيقًا فَمَا تَرَاهُ يُفِيقُ
عِظَامُهُ مَرْجَانُ، وَكُلُّ عَيْنٍ عَقِيقُ

فَاشْتَدَّ جَزَعُ «فَرْدِينْدُ»، وَامْتَلَأَتْ نَفْسُهُ حُزْنًا وَالْمَا عَلَى مَصِيرِ أَبِيهِ، وَيَنَسَّ مِنْ لِقَائِهِ الْيَأْسَ كُلَّهُ.

وَإِنَّهُ لَغَارِقُ فِي أَحْزَانِهِ وَالْأَمَةِ، إِذْ سَمِعَ صَوْتَ الْجَنِيِّ وَهُوَ يُغْنِيهِ:

أَبُوكَ يَا «فَرْدِينْدُ» قَدْ مَاتَ، وَهُوَ غَرِيقُ
هُوَ إِلَى الْقَاعِ لَمَّا طَوَاهُ بَحْرٌ سَحِيقُ
فَاحْزَنُ، فَأَنْتَ عَلَيْهِ — بِكُلِّ حُزْنٍ — خَلِيقُ

فَاسْتَسَلَّمَ «فَرْدِينْدُ» لِأَحْزَانِهِ، وَبَكَى أَبَاهُ الْعَزِيزَ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ الْهَاتِفَ يُخْبِرُهُ — فِي لَهْجَةِ الْجَازِمِ (الْمُتَحَقِّقِ الْمُؤْمِنِ) الْمُسْتَيْقِنِ — أَنَّ أَبَاهُ قَدْ مَاتَ وَطَوَاهُ الْبَحْرُ، وَأَصْبَحَتْ عِظَامُهُ مَرْجَانًا وَعَيْنَاهُ عَقِيقَتَيْنِ، وَلَمْ يَعْذُ لَهُ أَمَلٌ فِي لُقْيَاهُ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ الْمَشْتُومِ!

(٣) أَمَامَ الْكَهْفِ

وَمَا زَالَ «فَرْدِينْدُ» سَائِرًا — وَقَدْ تَمَلَّكَهُ سِحْرُ الْإِنْتِشَادِ الرَّائِعِ — حَتَّى وَصَلَ إِلَى كَهْفِ «بُرْسِيبَرُو»، فَرَأَاهُ وَاقِفًا عَلَى رَأْسِ صَخْرَةٍ مُرْتَفَعَةٍ، وَإِلَى جَانِبِهِ «مِيرِنْدَا». فَعَجِبَ «فَرْدِينْدُ» مِمَّا رَأَى. فَأَمَّا «مِيرِنْدَا» فَلَمْ تَرَ هَذَا الْإِنْسِيَّ حَتَّى اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا الدَّهْشَةُ وَالْحَيْرَةُ، فَالْتَفَتَتْ

إِلَى أَبِيهَا تَسْأَلُهُ مُتَعَجِّبَةً: «تَرَى مَنْ هَذَا الْقَادِمُ يَا أَبِي؟ لَعَلَّهُ جِنِّي أَوْ مَلَكٌ (رُوحٌ سَمَاوِيٌّ) هَبَطَ مِنَ السَّمَاءِ! فَلَسْتُ أَدْرُكُ أَنَّي رَأَيْتُهُ، أَوْ رَأَيْتَ مَنْ يُشْبِهُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ!»
 وَكَانَ لَهَا الْعُدْرُ فِي هَذَا السُّؤَالِ؛ فَقَدْ عَلِمَتْ — أَيُّهَا الْفَارِئِيُّ الصَّغِيرُ — أَنَّ عَيْنِي
 «مِيرِنْدَا» لَمْ تَقْعَا مِنْ قَبْلُ عَلَى إِنْسِي سَوَى أَبِيهَا. فَلَمَّا رَأَتْ «فِرْدِنَنْدُ» عَجِبَتْ مِنْ رُؤْيِيهِ،
 وَحَسِبَتْهُ جِنِّيًّا أَوْ مَلَكًا، فَسَأَلَتْ أَبَاهَا عَنْهُ فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ هَذَا الْقَادِمُ مِنَ الْجِنِّ وَلَا مِنَ
 الْمَلَائِكَةِ كَمَا تَحْسَبِينَ — يَا عَزِيزَتِي — بَلْ هُوَ إِنْسِيٌّ مِثْلُنَا. وَقَدْ كَانَ بَيْنَ رُكْبِ تِلْكَ
 السَّفِينَةِ الَّتِي رَأَيْتَهَا مُشْرِفَةً (مُقْبِلَةً) عَلَى الْعَرَقِ. وَهُوَ يَسِيرُ فِي الْجَزِيرَةِ بَاحِثًا عَنْ أَبِيهِ
 وَرُقَقَائِهِ؛ لَعَلَّهُ يَطْفُرُ بِلِقَائِهِمْ».

(٤) حِوَارُ «فِرْدِنَنْدُ» وَ«مِيرِنْدَا»

وَمَا رَأَتْ «مِيرِنْدَا» «فِرْدِنَنْدُ» وَسَمِعَتْ قِصَّتَهُ مِنْ أَبِيهَا، حَتَّى أَشْفَقَتْ وَحَزِنَتْ لَهُ، وَعَطَفَتْ
 عَلَيْهِ، وَفَرِحَتْ بِرُؤْيَةِ الْإِنْسِيِّ الظَّرِيفِ، فِي الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ (الْبُعِيدَةِ) الْمُقْفَرَةِ (الْخَالِيَةِ)،
 وَظَهَرَتْ عَلَى أَسَارِيرِهَا (حُطُوطِ جَبِينِهَا) أَمَارَاتُ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ. أَمَّا «فِرْدِنَنْدُ» فَلَمْ يَرَ
 «مِيرِنْدَا» أَمَامَهُ حَتَّى حَسِبَهَا — كَمَا حَسِبَتْهُ مِنْ قَبْلُ — مَلَكًا هَبَطَ مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ جِنِّيَّةً
 حَسَنَاءَ، تَسْكُنُ الْجَزِيرَةَ الْمُنْعَزَلَةَ. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهَا مُتَأَدِّبًا، وَسَأَلَهَا، فِي حَيَاءٍ وَحَجَلٍ: «هَلْ
 تَسْمَعُ لِي مَوْلَاتِي أَنْ تُخْبِرَنِي: أَيُّهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَمْ مِنَ الْجِنِّ؟»
 فَأَجَابَتْهُ «مِيرِنْدَا» مُتَلَفِّفَةً بِاسْمَةٍ: «كَلَّا يَا سَيِّدِي، مَا أَنَا بِمَلِكٍ وَلَا جِنِّيَّةٍ، بَلْ أَنَا
 إِنْسِيَّةٌ مِثْلُكَ».

فَاشْتَدَّتْ دَهْشَتُهُ «فِرْدِنَنْدُ» وَفَرِحَ بِرُؤْيَةِ «مِيرِنْدَا» وَامْتَلَأَتْ نَفْسُهُ رَجَاءً وَأَمَلًا.

(٥) بَيْنَ «فِرْدِنَنْدُ» وَ«بُرْسَبِيرُو»

وَمَا رَأَى «بُرْسَبِيرُو» «فِرْدِنَنْدُ» وَ«مِيرِنْدَا» مُتَالِفَيْنِ، حَتَّى مَلَأَ السُّرُورَ قَلْبَهُ، وَأَدْرَكَ أَنَّ
 حُطَّتَهُ الَّتِي أَحْكَمَ تَدْبِيرَهَا قَدْ نَجَحَتْ نَجَاحًا بَاهِرًا. فَقَدْ رَأَى أَنَّهَا مُتَحَابَّانِ، وَإِنْ لَمْ
 يَتَعَارَفَا قَبْلَ هَذِهِ اللَّحْظَةِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْرَعَ فِي أَمْرِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُحْكَمَ حُطَّتَهُ، وَأَنْ
 يُؤَيِّسَ «فِرْدِنَنْدُ» مِنْ زَوَاجِهِ بِابْنَتِهِ «مِيرِنْدَا»؛ لِيَخْتَبِرَ — بِذَلِكَ — أَخْلَاقَهُ؛ ثُمَّ يَمْلَأَ نَفْسَهُ
 أَمَلًا — بَعْدَ يَأْسٍ — فَيَكُونُ لِهَذَا النَّجَاحِ أَحْسَنُ الْأَثَرِ فِي نَفْسِ «فِرْدِنَنْدُ»، وَتَمَمَ (هُنَا) نَظَرَ

إِلَيْهِ «بُرْسِيرُو» وَقَالَ لَهُ، وَهُوَ يَتَظَاهَرُ بِالْقَسْوَةِ عَلَيْهِ: «مَاذَا أَتَى بِكَ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ؟ لَعَلَّكَ أَتَيْتَ لِتَغْتَضِبَهَا مِنِّي».

فَقَالَتْ لَهُ «مِيرِنْدَا» مُتَعَجِّبَةً: «لِمَاذَا تَعْنَفُ بِهِ (تَقْسُو عَلَيْهِ) فِي كَلَامِكَ، يَا أَبْتِ؟ وَمَا بِالكَ تَغْلِظُ لَهُ الْقَوْلَ، وَتُعَامِلُهُ كَمَا تُعَامِلُ جَارِمًا أَثِيمًا (مُرْتَكِبًا إِثْمًا)؟»

فَتَظَاهَرَ «بُرْسِيرُو» بِالْغَضَبِ مِنْ كَلَامِ ابْنَتِهِ، وَأُسْكَتَهَا، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى «فِرْدِنَنْدُ» وَقَالَ لَهُ فِي لَهَجَةِ الْجَادِّ الْمُعْبَسِ (الْمُقَطَّبِ جَبِينَهُ): «مَا أَجْدَرَكَ أَنْ تَكُونَ الْجَحِيمَ مَاوَاكَ، وَالنَّارُ مَثْوَاكَ (مَسْكَنَكَ)، وَأَنْ تَلْقَى مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ عَذَابٍ وَنَكَالٍ، حَتَّى يَنْحَنِي جِسْمَكَ وَيَنْقَوَسَ، وَيَلْتَصِقَ رَأْسُكَ بِقَدَمَيْكَ، فَلْتَبْقَ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ عَبْدًا سَحِينًا، وَلِيَكُنْ مَاءُ الْبَحْرِ شَرَابَكَ وَحَشَائِشُ الْأَرْضِ غِذَاءَكَ».

(٦) خُضُوعُ «فِرْدِنَنْدُ»

فَلَمْ يَسْتَطِعْ «فِرْدِنَنْدُ» الشُّجَاعُ النَّبِيلُ أَنْ يَحْتَمِلَ الْإِهَانَةَ مِنْ «بُرْسِيرُو»، وَامْتَلَأَتْ نَفْسُهُ غَضَبًا؛ فَاسْرَعَ إِلَى سَيْفِهِ، فَاسْتَلَّهُ مِنْ غِمْدِهِ (أَخْرَجَهُ مِنْ جِرَابِهِ)، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى قَتْلِ خَصْمِهِ الَّذِي أَهَانَهُ وَحَقَّرَهُ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَهَمْ بِذَلِكَ حَتَّى تَخَاذَلَ وَضَعُفٌ — أَمَامَ نَظَرَاتِ «بُرْسِيرُو» السَّاحِرَةِ — وَتَفَكَّكَتْ أَوْصَالُهُ، وَتَخَاذَلَتْ أَعْضَاؤُهُ؛ فَلَمْ يَعْذُ يَقْوَى بِذَلِكَ عَلَى مُنَاجَزَةِ خَصْمِهِ (مُحَارَبَةِ عَدُوِّهِ) الْقَوِيِّ. فَتَشَفَّعَتْ «مِيرِنْدَا» عِنْدَ أَبِيهَا أَلَّا يُؤْذِيَهُ، وَرَكَعَتْ أَمَامَهُ تَسْأَلُهُ — فِي صِرَاعَةِ الْمُتَوَسِّلِ، وَذِلَّةِ الْمُسْتَعْطِفِ — رَاجِيَةً أَنْ يَصْفَحَ عَنْ «فِرْدِنَنْدُ» وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ هَفْوَتِهِ (سَقَطَتِهِ).

فَقَالَ لَهَا «بُرْسِيرُو» وَهُوَ يَتَظَاهَرُ بِالْغَيْظِ وَالْحَنَقِ عَلَى «فِرْدِنَنْدُ»، وَيَتَصَنَّعُ الْإِزْرَاءَ وَالِاسْتِخْفَافَ بِهِ: «إِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ — أَيُّهَا السَّادِحَةُ الْبُلْهَاءُ — خَوَنَةٌ غَادِرُونَ، مِثْلُ «كَلِيبَانَ»، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ عَنِ الْآخِرِ فِي الْحُبِّثِ وَالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْعَدْرِ». وَرَأَى «فِرْدِنَنْدُ» أَنَّهُ قَدْ عَجَزَ عَنْ مُقَاوَمَةِ خَصْمِهِ، فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ الْإِذْعَانِ لَهُ وَالْخُضُوعِ لِسُلْطَانِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ «بُرْسِيرُو» قَدْ أَخْضَعَهُ بِقُوَّةِ السِّحْرِ وَفُنُونِهِ.

(٧) «فَرِدْنَدُ» فِي الْأَسْرِ

وَقَدْ عَجَبَ «فَرِدْنَدُ» مِمَّا رَأَى وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «مَا أَغْرَبَ هَذَا الرَّجُلَ، وَمَا أَقْوَى سُلْطَانَهُ عَلَيَّ! وَمَا أَدْرِي: بِأَيِّ قُوَّةٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيَّ، وَيُقَيِّدَنِي — مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ — وَيَجْعَلَنِي مُفَكِّكَ الْأَوْصَالِ (مُنْحَلَّ الْأَعْضَاءِ)، وَكَأَنَّيَ فِي حُلْمٍ مُضْنٍ (مُضْعِفٍ مُمْرِضٍ)، وَقَدْ أَصْبَحْتُ أَمَامَهُ ضَعِيفًا، لَا حَوْلَ لِي وَلَا قُوَّةَ؟ شَدَّ مَا أَذْلَنِي هَذَا الرَّجُلُ، حَتَّى لَا وَثِرَ الْمَوْتِ عَلَيَّ الْخُضُوعَ لِأَمْرِهِ، لَوْلَا أَنَّيَ أَجِدُ مَنْ عَطَفَ هَذِهِ الْفَتَاةَ الطَّاهِرَةَ الرَّحِيمَةَ — الَّتِي أَرَاهَا إِلَى جَانِبِهِ — مَا يُعْزِينِي وَيُصَبِّرُنِي وَيُسْرِي عَن نَفْسِي (يَكْشِفُ عَنْهَا هُمُومَهَا)، وَيُهَوِّنُ عَلَيَّ كُلَّ مَا أَحْسُهُ مِنَ الْقَهْرِ وَالْغَيْظِ».

وَإِنَّهُ لَغَارِقٌ فِي هَذِهِ التَّأْمَلَاتِ إِذْ نَبَّهَهُ صَوْتُ «بُرْسَبِيرُو» مِنْ أَحْلَامِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «هَلُمَّ — أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْفَتَى — فَاحْتَطِبْ (اجْمَعْ مِنَ الْحَطَبِ) لَنَا مَا تَسْتَطِيعُ، ثُمَّ أَحْضِرْ إِلَى كَهْفِنَا (بَيْتِنَا فِي الْجَبَلِ) مَا تَحْتَطِبُهُ مِنْ حَشَبٍ لِلْوُقُودِ. وَحَذَارِ أَنْ تَتَرَدَّدَ فِي تَلْبِيَةِ مَا أَمَرَكَ بِهِ».

وَالْتَفَتَ «بُرْسَبِيرُو» إِلَى «مِيرَنَدَا» قَائِلًا: «حَذَارِ أَنْ تَأْخُذَكَ فِي أَمْرِهِ شَفَقَةٌ أَوْ رَحْمَةٌ؛ فَهُوَ جَدِيرٌ بِكُلِّ شَقَاءٍ».

ثُمَّ سَارَ مَعَ «فَرِدْنَدُ» إِلَى حَيْثُ الْحَشَبُ وَالْوُقُودُ، وَأَرْشَدَهُ إِلَى مَكَانِهِمَا لِيَحْتَطِبَ لَهُمَا كُلَّ يَوْمٍ.

الفصل الرابع

(١) عَطْفُ «مِرْنَدَا» عَلَى «فِرْدَنْدُ»

وَبَيْنَمَا كَانَ «فِرْدَنْدُ» سَائِرًا فِي طَرِيقِهِ، عَائِدًا إِلَى غَارِ «بُرْسَبِيرُو» (رَاجِعًا إِلَى الْمَغَارَةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا بَيْتًا لَهُ فِي الْجَبَلِ)، إِذْ لَقِيَتهُ «مِرْنَدَا» — وَكَانَ مَشْغُولًا بِالتَّفْكِيرِ فِيهَا حِينَئِذٍ — فَلَمْ تَرَهُ حَتَّى أَشْفَقَتْ عَلَيْهِ، وَأَرَادَتْ أَنْ تُسَاعِدَهُ فِي حَمْلِ الخَشَبِ الَّذِي كَلَّفَهُ أَبُوهَا إِحْضَارَهُ إِلَى كَهْفِهِ.



فَدِهَشَ «فِرْدِنْدُ» مِنْ كَرَمِ نَفْسِهَا، وَأَكْبَرَ (عَظَّمَ) مِنْهَا ذَلِكَ الشُّعُورَ النَّبِيلَ، وَقَالَ لَهَا: «إِنِّي لَأُوَثِّرُ أَنْ تَشَلَّ يَدَيَّ (أَخْتَارُ أَنْ تَقْفَ يَدَيَّ عَنِ الْحَرَكَةِ)، أَوْ تُبْتَرَّ سَاعِدِي (تُقَطَّعَ ذِرَاعِي) عَلَى أَنْ أَكَلِّفَكَ شَيْئًا مِنَ الْعَنَاءِ!»
فَقَالَتْ لَهُ «مِيرِنْدَا»: «أَرَاكَ عَيَّانَ (عَاجِزًا عَنِ الْعَمَلِ)، وَالْمَحَّ عَلَى وَجْهِكَ أَمَارَاتِ الْجَهْدِ وَالْإِعْيَاءِ (عَلَامَاتِ الْمَشَقَّةِ وَالْعَجْزِ). فَمَاذَا عَلَيَّ إِذَا حَقَّقْتُ شَيْئًا مِنْ عَنَائِكَ؟»
فَقَالَ لَهَا: «حَسْبِي أَنْ أَعْرِفَ مِنْكَ هَذَا الْعَطْفَ النَّادِرَ، وَأَنْ أَتَمَثَّلَ أَمَامِي هَذَا الرُّوحَ النَّبِيلَ، فَتَمَتَّلِي نَفْسِي قُوَّةً أَنْغَلَبَ بِهَا عَلَى كُلِّ مَا أَلْقَاهُ مِنْ عَنَاءٍ وَتَعَبٍ!»

(٢) مُفَاجَأَةُ «بُرْسَبِيرُو»

وَوَقَفَا يَتَحَدَّثَانِ قَلِيلًا، وَكَانَ «بُرْسَبِيرُو» عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْهُمَا يَسْتَمِعُ إِلَى أَحَادِيثِهِمَا بِحَيْثُ لَا يَرِيَانِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ أَحْفَى نَفْسَهُ عَنْ عُيُونِهِمَا بِمَا أُوتِيَهُ مِنْ فُنُونِ السُّحْرِ وَسُلْطَانِهِ.
ثُمَّ ظَهَرَ أَمَامَهُمَا فَجَأَةً؛ فَعَجِبَا مِنْ رُؤْيَيْهِ، وَلَمْ يَعْرِفَا كَيْفَ جَاءَ، وَمِنْ أَيِّ مَكَانٍ ظَهَرَ، وَخَشِيَ أَنْ يَدْفَعَهُ الْغَضَبُ إِلَى إِيْذَانِهِمَا وَالتَّنْكِيلِ بِهِمَا.
وَلَكِنَّ «بُرْسَبِيرُو» أَخْلَفَ ظَنَّهُمَا، وَقَالَ لَهُمَا مُبْتَسِمًا مَسْرُورًا: «لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُمَّتَجَنَّ صَبْرَكُمَا، وَأَرَى كَيْفَ تَلْقِيَانِ الشَّدَائِدَ. وَقَدْ رَأَيْتُ — مِنْ وَفَائِكُمَا وَإِخْلَاصِكُمَا وَمُرُوءَتِكُمَا — مَا مَلَأَ قَلْبِي بِهَجَّةٍ وَأَنْشِرَاحًا. وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ تَكُونِي — يَا «مِيرِنْدَا» — زَوْجَتَهُ وَشَرِيكَتَهُ فِي الْحَيَاةِ؛ فَأَنْتُمَا مُتَكَافِئَانِ (مُتَسَاوِيَانِ) فِي النَّبْلِ وَالشَّرَفِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْوَفَاءِ!»

(٣) سُكْرُ «فِرْدِنْدُ»

وَمَا سَمِعَا هَذَا الْكَلَامَ، حَتَّى حِيلَ إِلَيْهِمَا أَنَّهُمَا فِي حُلْمٍ، وَأَمْتَلَأَ قَلْبَاهُمَا سُرُورًا وَغَيْبَةً.
وَتَوَجَّهَ «فِرْدِنْدُ» إِلَى «بُرْسَبِيرُو» وَشَكَرَ لَهُ صَنِيعَهُ أَحْسَنَ الشُّكْرِ، وَلَتَمَّ يَدَهُ (قَبَّلَهَا) عِرْفَانًا لِمُرُوءَتِهِ وَكَرَمِهِ، وَقَالَ لَهُ: «سَأَكُونُ ابْنُكَ الْبَارَّ — مِنْذُ الْيَوْمِ — وَسَأَبْقَى لِبَيْتِكَ «مِيرِنْدَا» نِعْمَ الصَّدِيقُ الْوَفِيُّ الْأَمِينُ، وَأَبْدُلُ نَفْسِي فِدَاءً لَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ طَوَّلَ حَيَاتِي».
فَشَكَرَ لَهُ «بُرْسَبِيرُو» مُرُوءَتَهُ، وَرَبَّتَهُ (ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى كَتْفِهِ مُتَلَطِّفًا)، ثُمَّ تَرَكَهُ مَعَ «مِيرِنْدَا» وَعَادَ مِنْ حَيْثُ أَتَى لِئِيْتِمَّ إِنْجَازَ حُطَّتِهِ.

(٤) انتقام «أريل»

وَلَمْ يَشَأْ «بُرْسِيْرُو» أَنْ يُضِيعَ شَيْئًا مِنْ وَقْتِهِ عَبَثًا، فَنَادَى خَادِمَهُ الْجِنِّيَّ الْأَمِينِ وَقَالَ لَهُ: «إِلَيَّ يَا رَفِيقِي «أريل»! إِلَيَّ أَيُّهَا الْخَادِمُ الْوَفِيُّ الْمُخْلِصُ!» فَحَضَرَ إِلَيْهِ «أريل» وَلَبَّاهُ مِنْ فَوْرِهِ قَائِلًا: «هَآنَذَا — يَا سَيِّدِي — فَمُرْنِي بِمَا تَشَاءُ؛ فَإِنِّي سَامِعٌ مُطِيعٌ».

فَقَالَ لَهُ «بُرْسِيْرُو»: «مَاذَا صَنَعْتَ بِشَقِيقِي الْغَادِرِ «أَنْطُنْيُو»؟ وَمَاذَا صَنَعْتَ بِمَلِكِ «نَإِپُولِي»؟ وَمَاذَا صَنَعْتَ بِرَفُقَائِهِمَا جَمِيعًا؟ مَا أَحْسَبُكَ قَصَّرْتَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَمَرْتُكَ بِهِ».

فَقَالَ لَهُ «أريل»: «لَقَدْ أَنْجَزْتُ مَا طَلَبْتُ — وَفَوْقَ مَا تَشْتَهِي وَتُرِيدُ — فَانْتَقَمْتُ مِنْهُمْ شَرَّ انْتِقَامٍ، وَسَخَرْتُ مِنْهُمْ جَمِيعًا حَتَّى كَادُوا يَتَمَيِّزُونَ مِنَ الْغَضَبِ (يَنْقَطِعُونَ مِنَ الْغَيْظِ). وَقَدْ أَعَدَدْتُ لَهُمْ مَائِدَةً فَاحِرَةً عَلَيْهَا أَشْهَى أَلْوَانِ الطَّعَامِ، وَمَا رَأَوْهَا حَتَّى أَسْرَعُوا إِلَيْهَا مُتَهَافِتِينَ (مُتَسَاقِطِينَ) فِي شَرِّهِ عَجِيبٍ (شَعَفٍ شَدِيدٍ بِالْأَكْلِ). وَكَانَ الْجُوعُ قَدْ بَرَّحَ بِهِمْ أَذَاهُ وَاشْتَدَّ، فَصَبَرْتُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهَا ظَهَرَتْ أَمَامَهُمْ — فِي شَكْلِ حَزْبَاءٍ مُفْرَعَةٍ (الْحَزْبَاءُ: حَيَوَانٌ زَاحِفٌ يَتَلَوَّنُ أَلْوَانًا مُخْتَلِفَةً) — فَخَطَفْتُ الْمَائِدَةَ وَأَخْفَيْتُهَا عَنْ أَعْيُنِهِمْ. فَتَبَدَّلَ سُورُورُهُمْ جَزَعًا وَرَجَاؤُهُمْ يَأْسًا. وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ غَيْظًا مِنِّي، وَحَنَقًا عَلَيَّ؛ فَسَلُّوا سُيُوفَهُمْ مِنْ أَعْمَادِهَا (أَخْرَجُوهَا مِنْ جِرَابَاتِهَا) مُحَاوِلِينَ أَنْ يَفْتَكُوا بِهَا، فَسَخَرْتُ مِنْهُمْ قَائِلًا: «أَحْسِنُوا — أَيُّهَا الْأَثَمَةُ — وَتَوَارَوْا خِزْيًا، أَيُّهَا الْغَادِرُونَ! أَلَا تَذَكَّرُونَ تِلْكَ الْمُؤَامَرَةَ الَّتِي دَبَّرْتُمُوهَا ضِدَّ سَيِّدِكُمْ «بُرْسِيْرُو» النَّبِيلِ: أَمِيرِ «مِيلَانَ»؟ أُنْسِيْتُمْ أَنَّكُمْ أَسْلَمْتُمُوهُ — مَعَ طِفْلَتِهِ الْبَرِيَّةِ — إِلَى الْبَحْرِ لِيَمُوتَا غَرِيقِينَ، وَهَمَا لَمْ يَقْتَرِفَا إِثْمًا، وَلَمْ يَزْتَكِبَا ذَنْبًا؟ اذْكُرُوا أَنَّ لِكُلِّ جُرْمٍ عِقَابًا، وَأَنَّ سَاعَةَ الْقِصَاصِ (أَخِذِ الْحَقَّ) قَدْ دَنَتْ (قَرَبَتْ). فَإِذَا سَنَّتُمْ النِّجَاةَ مِنَ الْهَلَاكِ الَّذِي يَنْهَدِدُكُمْ، فَاسْتَعْفِرُوا لِدُنُوبِكُمْ وَتُوبُوا مِنْ حَطِيئَاتِكُمْ، وَعَاهِدُوا اللَّهَ عَلَى الْأَلَّا تَعُودُوا — بَعْدَ الْيَوْمِ — إِلَى الْعَدْرِ وَالْخِيَانَةِ وَمُقَابَلَةِ الْإِحْسَانِ بِالْإِسَاءَةِ».

فَسَأَلَهُ «بُرْسِيْرُو»: «هَلْ نَدِمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا، أَيُّهَا الرَّفِيقُ الْأَمِينُ؟»

فَقَالَ لَهُ «أريل»: «نَدِمُوا كُلُّ النَّدَمِ. فَقَدْ بَلَغَ بِهِمُ الْيَأْسُ وَتَأَنَّبَ الضَّمِيرُ (تَوْبِيخُهُ) كُلَّ مَبْلَغٍ، وَبَرَّحَ بِهِمُ الْأَلَمُ كُلُّ مَبْرَحٍ، حَتَّى تَمَلَّكَهُمُ الذُّهُولُ وَالْحَيْرَةُ، لِشِدَّةِ مَا اعْتَرَاهُمْ مِنَ الْفَرَعِ، وَالْحُزْنِ وَالْجَزَعِ».

فَقَالَ لَهُ «بُرْسَبِيرُو»: «إِنَّ النَّدَمَ دَلِيلُ الْإِخْلَاصِ. وَقَدْ صَفَحْتُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، بَعْدَ أَنْ صَفَتِ نَفُوسُهُمْ. فَأَحْضِرْهُمْ إِلَيَّ — يَا عَزِيزِي «أَزِيلُ» — فَقَدْ اشْتَدَّ شَوْقِي إِلَى رُؤْيَةِ شَقِيقِي «أَنْطُنْيُو» وَأَصْدِقَائِي الَّذِينَ مَعَهُ. أَسْرِعْ — يَا «أَزِيلُ» — فَحَسْبُهُمْ مَا لَقُوا مِنْ عَنَتٍ وَشِدَّةٍ (مَشَقَّةٍ وَتَضْيِيقٍ) وَإِرْهَاقٍ، وَتَكْلِيفٍ بِمَا لَا يُطَاقُ».

الفصل الخامس

(١) عَوْدَةُ «أَرْيَلُ»

وَفِي مَثَلٍ لَمَحَ الْبَصَرَ اسْتَحْفَى الْجَنِّيُّ «أَرْيَلُ» عَنِ الْأَنْظَارِ؛ وَطَارَ فِي الْجَوِّ. وَوَقَفَ «بُرْسِيْرُو» يَرْتَقِبُ عَوْدَتَهُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ، وَقَدْ اشْتَدَّ شَوْقُهُ إِلَى رُؤْيَةِ رُفَقَائِهِ الْقُدَمَاءِ.
وَبَعْدَ قَلِيلٍ سَمِعَ صَوْتَ مُوسِيقَى مُطْرِبَةٍ؛ فَعَلِمَ أَنَّ صَفِيَّةَ «أَرْيَلِ» عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ.
فَنَادَاهُ وَطَلَّبَ إِلَيْهِ أَنْ يُعْجَلَ بِإِحْضَارِ تَوْبِهِ وَسَيْفِهِ، لِيَبْدُوَ أَمَامَ رُفَقَائِهِ فِي زِيَةِ الَّذِي أَلْفُوهُ مِنْهُ.
وَمَا فَعَلَ حَتَّى أَصْبَحَ «بُرْسِيْرُو» فِي ثِيَابِ الْإِمَارَةِ الَّتِي كَانَ يَرْتَدِيهَا أَيَّامَ كَانَ أَمِيرَ مِيلَانَ.

(٢) بُشْرَى الْخَلَاصِ

ثُمَّ التَفَتَ «بُرْسِيْرُو» إِلَى «أَرْيَلِ» وَقَالَ لَهُ: «أَبَشِّرْ، فَقَدْ دَنَتْ سَاعَةُ الْخَلَاصِ مِنَ الْأَسْرِ، وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ سَأَمْنُكَ حُرِّيَّتَكَ كَامِلَةً، وَأُطْلِقُكَ مِنْ إِسَارِكَ، أَيُّهَا الرَّفِيقُ الْعَزِيزُ».
وَمَا سَمِعَ «أَرْيَلُ» مِنْ سَيِّدِهِ أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ عَلَى وَشِكِ الْخَلَاصِ مِنْ عُبُودِيَّتِهِ، وَقَدْ اقْتَرَبَ مَوْعِدِ الظَّفَرِ بِحُرِّيَّتِهِ، وَالْإِنْطِلَاقِ مِنْ إِسَارِهِ، حَتَّى امْتَلَأَتْ نَفْسُهُ غِبْطَةً وَسُرُورًا وَانْشِرَاحًا؛ فَظَلَّ يُعْنِي مُبْتَهَجًا بِحُرِّيَّتِهِ الْقَرِيبَةِ.

(٣) بَيْنَ «بُرْسِيَرُو» وَأَصْحَابِهِ

وَبَعْدَ قَلِيلٍ وَصَلَ أَصْحَابُهُ إِلَيْهِ، فَكَانَتْ مُفَاجَأَةً عَجِيبَةً، وَمُبَاعَثَةً غَيْرَ مُنْتَظَرَةٍ. وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ «جُنْزَالُو» صَدِيقُهُ الْحَمِيمُ، وَصَفِيُّهُ الْحَبِيبُ (الْمَتِينُ الْوَدَادِ)، الَّذِي عَنِيَ بِأَمْرِ «بُرْسِيَرُو» وَأَحْضَرَ إِلَيْهِ كُتُبَ السُّحْرِ، وَوَضَعَ فِي سَفِينَتِهِ — إِلَى ذَلِكَ — كَثِيرًا مِنَ الثِّيَابِ وَالزَّادِ وَالْمَاءِ الْعَذْبِ، كَمَا عَلِمَتْ — أَيُّهَا الْقَارِئُ الصَّغِيرُ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ.

وَقَدْ فَرَحَ «بُرْسِيَرُو» بِرُؤْيَا الصَّدِيقِ الْوَفِيِّ الْكَرِيمِ، وَرَأَى شَقِيقَهُ الْغَادِرَ «أَنْطُنْيُو» الَّذِي سَلَبَهُ مَلَكُهُ، وَكَانَ سَبَبَ شَقَائِهِ وَتَغْرِيْبِهِ (تَشْتِيْتِهِ وَإِبْعَادِهِ). كَمَا رَأَى «الْأَنْزُو» مَلِكَ «نَابُولِي» وَ«سَيْسِيَتِيَان» شَقِيقَ مَلِكِ «نَابُولِي»، وَرَأَى مَعَهُمُ اثْنَيْنِ مِنْ سَرَاةِ «نَابُولِي» (سَادَتِهَا وَأَشْرَافِهَا)، وَهُمَا «أَدْرِيَانُ» وَ«فَرْنِسِسْكُو».

وَمَا أَبْصَرَ هُوَلاءِ «بُرْسِيَرُو» أَمَامَهُمْ حَتَّى تَمَلَّكَهُمُ الرُّعْبُ وَالْفَزَعُ وَاسْتَوْلَى عَلَى نَفُوسِهِمُ الْخَوْفُ وَالْهَلَعُ.

وَحَارُوا فِي أَمْرِهِمْ وَحَسَبُوا أَنَّهُمْ حَالِمُونَ (ظَنُّوا أَنَّهُمْ فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ)؛ فَقَدْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ «بُرْسِيَرُو» هَلَكَ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ. فَلَمَّا رَأَوْهُ أَمَامَهُمْ غَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ، وَتَمَكَّنَ مِنْهُمْ الذُّهُولُ.

(٤) حِوَارُ «بُرْسِيَرُو» وَ«الْأَنْزُو»

وَالْتَقَتِ «بُرْسِيَرُو» إِلَى «الْأَنْزُو» مَلِكِ «نَابُولِي» وَقَالَ لَهُ: «إِيهْ يَا «الْأَنْزُو»! أَتَذْكُرُ صَاحِبَكَ «بُرْسِيَرُو» أَمِيرَ مِيلَانَ الَّذِي انْتَمَرَتْ بِهِ — مَعَ «أَنْطُنْيُو» — لِتَغْتَصِبَ مَلَكُهُ؟ إِنَّكَ تَشْكُ فِي أَنَّنِي لَا أَزَالُ حَيًّا أَرْزُقُ. وَلَعَلَّكَ تَحْسَبُنِي طَيْفَ «بُرْسِيَرُو» (تَظُنُّنِي شَبَحَهُ وَحَيَالَهُ). وَلَكِنِّي أَزِيلُ مَا عَلِقَ بِنَفْسِكَ مِنَ الْوَهْمِ، فَأَعَانِقُكَ لِتَكُونَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّ «بُرْسِيَرُو» لَا يَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، بَعْدَ أَنْ أَسْلَمْتَهُ الْمَقَادِيرُ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ (الْبَعِيدَةِ)».

وَمَدَّ «بُرْسِيَرُو» ذِرَاعِيَهُ إِلَى صَدِيقِهِ «الْأَنْزُو» لِيَعَانِقَهُ، فَذَهَلَ وَتَفَوَّهَ (نَطَقَ) بِكَلَامٍ مُتَقَطِّعٍ، وَقَدْ أَفْحَمْتَهُ الْحَيْرَةُ فَاسْكَتَتْهُ (مَنْعَتْ صَوْتَهُ مِنَ الظُّهُورِ) وَقَالَ: «أَأَنْتَ «بُرْسِيَرُو» حَقًّا؟ وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ «بُرْسِيَرُو» عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَأَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْقَصِيَّةِ (الْبَعِيدَةِ)؟»



(٥) بَيْنَ «بُرْسَبِيرُو» وَ«جُنْزَالُو»

وَتَمَّةَ النَّفْتِ «بُرْسَبِيرُو» إِلَى صَدِيقِهِ «جُنْزَالُو» وَمَدَّ إِلَيْهِ ذِرَاعَيْهِ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحْ لِي —
 أَيُّهَا الصَّدِيقُ الْكَرِيمُ — أَنْ أَعَانِكَ وَأَقْبَلَكَ».

وَكَانَ «جُنْزَالُو» — صَدِيقُهُ الْحَمِيمُ — لَا يَزَالُ مُتَرَدِّدًا فِي مَعْرِفَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: «بِرَبِّكَ:
 أَصَادِقُ أَنْتَ فِيمَا تَقُولُ؟ أَأَنْتَ صَدِيقِي «بُرْسَبِيرُو»؟ أَلَسْتُ مَحْدُوعًا فِي ذَلِكَ؟»

وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَقَّقَ صِدْقَ مَا رَأَى أَمَامَ عَيْنَيْهِ، لِمَا
 اسْتَوَى عَلَى نَفْسِهِمْ مِنَ الْإِضْطِرَابِ وَالِازْتِبَاكِ. فَقَدِ اجْتَمَعَ الْخَوْفُ وَالْحَيْرَةُ وَالذُّهُولُ
 عَلَيْهِمْ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا الْآنَ رَهْنَ رَحْمَةِ «بُرْسَبِيرُو» سَيِّدِ الْجَزِيرَةِ، وَأَنَّ كَلِمَةَ
 وَاحِدَةً مِنْهُ كَافِيَةٌ أَنْ تُورِدَهُمْ مَوَارِدَ التَّهْلُكَةِ. وَشَعَرُوا بِالنَّدَمِ وَوَحْزِ الضَّمِيرِ، وَهُمْ تَحْتَ
 تَأْثِيرِ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ.

(٦) بَيْنَ «بُرْسِبِيرُو» وَ«أَنْطُنْيُو»

وَالْتَفَتَ «بُرْسِبِيرُو» إِلَى شَقِيْقِهِ «أَنْطُنْيُو» وَقَالَ: «إِلَيَّ أَيُّهَا الْغَادِرُ! تَعَالَ، أَيُّهَا الْأَثِيمُ؛ فَلَيْسَ فِي قُدْرَتِي أَنْ أَدْنَسَ فَمِي فَأَدْعُوكَ شَقِيْقِي. عَلَى أَنَّي سَأَصْفُحُ عَنْ أَعْمَالِكَ السُّودِ، بَعْدَ أَنْ تَرُدَّ إِلَيَّ إِمَارَتِي».

(٧) دُعَاءُ «الْأَنْزُو»

وَهُنَا انْتَبَرَى «الْأَنْزُو» لِلْكَلامِ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ «بُرْسِبِيرُو»: «لَقَدْ حَلَلْتُ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ مِنْذُ بَضْعِ سَاعَاتٍ، فَخَبَّرَنِي: مَتَى حَلَلْتَهَا أَنْتَ؟ فَإِنِّي فَقَدْتُ فِيهَا وَلَدِي الْعَزِيزَ «فِرْدِنْدُ»، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ عَارِفًا بِمَنَاحِيهَا (خَبِيرًا بِأَنحَائِهَا وَجِهَاتِهَا)، لِتَبْحَثَ مَعِي عَنْ وَلَدِي الضَّائِعِ».

فَقَالَ «بُرْسِبِيرُو» بِصَوْتٍ خَافِتٍ (مُنْخَفِضٍ): «وَأَنَا أَيُّضًا فَقَدْتُ ابْنَتِي مِنْذُ زَمَنٍ وَجِيزٍ».

فَصَاحَ «الْأَنْزُو» مُتَأَلِّمًا: «يَا لَلسَّمَاءِ! إِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَكُونَ وَلَدِي وَابْنَتُكَ مُقِيمِينَ فِي «نَاطُولِي»، وَأَنْ يُصِيبَا مَلَكَئِنَ عَلَيَّهَا، إِذَا كُتِبَتْ لَهُمَا السَّلَامَةُ مِنَ الْهَلَاكِ».

وَمَا أَتَمَّ قَوْلَهُ حَتَّى أَشَارَ «بُرْسِبِيرُو» إِلَى الصَّخْرَةِ فَاَنْفَتَحَتْ؛ وَبَدَأَ خَلْفَهَا «فِرْدِنْدُ» وَ«مِيرِنْدَا»!

(٨) عَقْدُ الزَّوْجِ

وَلَيْسَ فِي قُدْرَةِ إِنْسَانٍ أَنْ يَصِفَ لِلْقَارِيٍّ مَا مَلَأَ قَلْبَ «الْأَنْزُو» مِنَ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ حِينَ وَجَدَ وَلَدَهُ، بَعْدَ أَنْ ظَنَّ أَنَّ الْبَحْرَ قَدْ طَوَاهُ، وَأَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ فِي عِدَادِ الْمُغْرَقِينَ. فَأَقْبَلَ عَلَى وَلَدِهِ يَضُمُّهُ فِي حُنُوٍّ وَشَوْقٍ. وَقَدْ أُعْجِبَ بِجَمَالِ «مِيرِنْدَا»، وَامْتَلَأَتْ نَفْسُهُ حَجَلًا مِنْ كَرَمِ «بُرْسِبِيرُو» وَصَفْحِهِ؛ فَعَاوَدَهُ إِحْسَاسُهُ الْكَرِيمَ وَشَعُورُهُ النَّبِيلُ. وَزَالَ الْفَرَعُ مِنْ قُلُوبِ الْحَاضِرِينَ؛ فَأَقْبَلَ «الْأَنْزُو» عَلَى «فِرْدِنْدُ» وَ«مِيرِنْدَا» وَأَمْسَكَ بِيَدَيْهِمَا مُهْنَتًا إِيَّاهُمَا بِالسَّلَامَةِ وَصَاحَ قَائِلًا: «لِنَمَلًا الْأَحْزَانَ وَالْيَأْسَ — فِي كُلِّ وَقْتٍ — قَلْبَ مَنْ لَا يَبَارِكُ لَكُمْ، وَلَا يَغْتَبِطُ بِزَوَاجِكُمَا السَّعِيدِ».

(٩) صَفْحُ «بُرْسِيرُو»

وَهُمْ «أَنْطُنْيُو» أَنْ يُظْهِرَ أَلَمَهُ وَحُزْنَهُ لِمَا وَقَعَ لِأَخِيهِ «بُرْسِيرُو» فَقَاطَعَهُ «بُرْسِيرُو» وَقَالَ لَهُ فِي نُبْلِ وَشَمَمٍ (إِبَاءٍ وَشَرْفٍ): «دَعْنَا مِنَ الْخَوْضِ فِي ذَلِكَ التَّارِيخِ الْقَدِيمِ؛ فَقَدْ عَفَوْتُ عَمَّا مَضَى كُلُّهُ!»

فَبَكَى «أَنْطُنْيُو» بُكَاءً شَدِيدًا، وَقَدْ كَادَ النَّدَمُ يَسْحَقُ فُؤَادَهُ، وَالْأَسَى يَمَحِقُهُ وَيُقَتِّتُ قَلْبَهُ، بَعْدَ مَا سَمِعَهُ وَرَأَهُ مِنْ كَرَمِ شَقِيقِهِ «بُرْسِيرُو».

أَمَّا «الْأَنْزُو» فَقَدْ جَفَفَ دُمُوعَ عَيْنَيْهِ خُفِيَّةً، وَقَدْ أَتَقَنَ (عَلِمَ عِلْمَ الْيَقِينِ) — مِمَّا حَدَثَ — أَنَّ مَمْلَكَةَ «نَاطُولِي» سَيَسْتَوْلِي عَلَى عَرْشِهَا الْعُرُوسَانِ.

وَقَدْ شَكَرُوا جَمِيعًا لِتِلْكَ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ مَا قَبِضَتْهُ لَهُمْ مِنْ سُرُورٍ وَابْتِهَاجٍ، وَمَا هَيَّأَتْهُ مِنْ تَوْفِيقٍ فِي عَقْدِ زَوَاجِ الْعُرُوسَيْنِ السَّعِيدَيْنِ.

خاتمة القصة

(١) وداع الجزيرة

رَأَى «بُرْسَبِرُو» أَنَّ جَمِيعَ أَمَانِيَّةٍ قَدْ تَحَقَّقَتْ، فَتَأَهَّبَ (اسْتَعَدَّ) لِلسَّفَرِ مَعَ رُفَقَائِهِ، وَأَصْلَحَ «أَزِيلُ» سَفِينَةَ الْمَلِكِ وَأَيَقَظَ مَلَاَحِيهَا مِنْ نَوْمِهِمُ الْعَمِيقِ.
وَدَعَاهُمْ «بُرْسَبِرُو» إِلَى كَهْفِهِ فَقَضَوْا فِيهِ لَيْلَةً أَنْسَ وَسُرُورٍ.
وَلَمَّا لَاحَ الصَّبَاحُ، خَلَفَ (تَرَكَ) «بُرْسَبِرُو» كُتُبَ سِحْرِهِ فِي الْجَزِيرَةِ، وَحَطَّمَ عَصَاهُ السَّحْرِيَّةَ (كَسَرَهَا)، وَأَطْلَقَ سَرَاحَ الْجِنِّ الَّذِينَ كَانُوا فِي أَسْرِهِ (أَعَادَ الْحُرِّيَّةَ إِلَى الْمَسْجُونِينَ مِنْهُمْ)، وَعَفَا عَنْ «كَلِيْبَانَ» وَتَرَكَ لَهُ جَزِيرَتَهُ.

(٢) أُغْنِيئُهُ «أَزِيلُ»

ثُمَّ دَعَا «أَزِيلُ» وَمَنَحَهُ حُرِّيَّتَهُ الَّتِي وَعَدَهُ بِهَا، بَعْدَ أَنْ شَكَرَ لَهُ إِخْلَاصَهُ وَوَفَاءَهُ. فَفَرِحَ «أَزِيلُ» وَشَكَرَ لِسَيِّدِهِ أَحْسَنَ الشُّكْرِ، وَدَعَا لَهُ بِالتَّوْفِيقِ. وَلَمْ يُطِقْ أَنْ يَكْتُمَ فَرَحَهُ وَسُرُورَهُ؛ فَاَنْطَلَقَ يُعْنِي بِصَوْتِهِ السَّاحِرِ:

الآن حُقَّ لِي الطَّرَبُ وَبَلَغْتُ - مِنْ دَهْرِي - الأَرْبُ
سَأَكُونُ حُرًّا مُطْلَقًا وَأَطِيرُ مِنْ فَوْقِ السُّحُبِ

يا رفاقي تمّ لـ سي اليوم هنائي وسُروري
لن الأقي في حياتي من شقاءٍ وتكبير
يا رفاقي: هنئوني بعد أن نلت السعادة
وجديرٌ بالتّهاني كلُّ من نال مراده
سوف أمشي في اختيال وتأنّي، سوف أمرح
تمّ لي أنسي فما لي لا أغني حين أفرح؟

تمّ لي أنسي، وأدركتُ مرادي وأتى يوم خلاصي من إساري
سوف أفضي كلّ ليالي ونهاري طائرًا كالنحل، أشدو كالهزار
بين زهر الروض، أو فوق الروابي في متون السحب أو موج البحار

حُقّ لي أن أطربا حُقّ لي أن ألعبا
فلقد تمّ رجا بي وبألفت الأربا!

(٣) في مدينة «ميلان»

وبعد قليل أقلعت بهم السفينة، وكانت الريح معتدلةً والجو صافياً. وكان «أزيل» يُغنيهم
ويُساعدهم، حتى وصلوا إلى «ناپولي» سالمين.

وقضوا حياتهم — بعد ذلك — في «ميلان» هانئين وأستراح بالهم، وساد الوفاق أهل
«برُسبيرو» وذويه. ولم يعد أحد منهم يفكر في أذية صاحبه، أو تنغيص عيشه والكيّد
له.

وتَمّ في «ميلان» عرس «ميرندا». ولم ينس «أنطنيو» و«ألنزو» كرم «برُسبيرو»
وصفحه الجميل، وعفوه عن ذنوبهما، مع قدرته على الانتقام منهما.

أما «برُسبيرو» فقصى شيخوخته وادعاً مسروراً بتحقيق أماله، ونجاح مساعيه.

(٤) ثَمَرَةُ الصَّفْحِ

فَمَا رَأَيْكَ — أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ — فِي مَسَلِكِ «بُرْسَبِيرُو» النَّبِيلِ؟ وَكَيْفَ وَجَدْتَ ثَمَرَةَ الصَّفْحِ وَالتَّسْمُحِ وَمُقَابَلَةَ الْإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانِ؟ وَأَيُّهُمَا كَانَ أَجْدَى وَأَكْرَمَ، وَأَنْفَعَ وَأَشْرَفَ: الْعَفْوُ أَمْ الْإِنْتِقَامُ؟

تُرَى لَوْ اسْتَسَلَّمَ «بُرْسَبِيرُو» لِغَضَبِهِ، وَعَزَمَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَالتَّنْكِيلِ بِهِمْ، أَكَانَ يَصِلُ إِلَى هَذِهِ النَّتَائِجِ الْبَاهِرَةِ، وَيَطْفَرُ بِتِلْكَ الثَّمَارِ الطَّيِّبَةِ؟ وَلَكِنَّهُ كَسَبَ قُلُوبَ أَعْدَائِهِ، بَعْدَ أَنْ صَفَحَ عَنْهُمْ، وَتَجَاوَزَ عَنْ إِسَاءَتِهِمْ وَعَعْدَرِهِمْ؛ فَكَانَ لَهُ فَوْزُ الْمُحْسِنِ الْكَرِيمِ، وَقَضَى حَيَاتَهُ فِي مَحَبَّةٍ وَسَلَامٍ.

